

32 صفحة/2000 ليرة

Jeudi 28 Juin 2012 79 ème Année - No 24754

### حداثة مذهلة

روث فلينت

**أبص**ر جـان جـاك روسـو النـور في 28 حزيران 1712 في جنيف، أي منذ 300 سنة تحديداً. وها هو العام 2012 يشهد عدداً هائلاً من الاحتفالات لإحياء ذكرى هذا المفكر الجنيفي، كما في سويسرا كذلك في جميع أنحاء العالم، واغتنم العديد من دور النشر فرصة هذه الذكرى لإعادة نشر أفضل مؤلفات هذا الفيلسوف ، وسيتمكن الجمهور اللبناني بدوره من أن يكتشف أهم هذه المنشورات في معرض الكتاب الفرنكوفوني المقبل في بيروت.

قليلة هي الشخصيات التاريخية، وباعتراف الجميع، التي نحيي ذكراها حتى يومنا هذا، بعد أكثر من قرنين ونصف من وفاتها! لا شُك أن هذا العبقري المتعدد الـوجـه، والمنظر الموسيقي، والملحن، والكاتب المسرحي، والروائي، والشاعر الذي سبق عصر الرومانسية، والفيلسوف، والمفكرُ السياسي، والمدرّس، وعالم النبات، واللاهوتي، دائماً ما كان يدهش القراء ويزودهم بمواد

ما من أحد يقرأ ويـدرس فكر روسو، وهم كثر، إلا ويجمع على حداثته. ففي ظل التحديات الراهنة - تلك المناخية والديموغرافية والاقتصادية والمالية - لا يـزال يـشكـل فكر روسو، وربما أكثر من أي وقت مضى، مصدر إلهام لمجتمعات القرن الحادي والعشرين.

وسيتمكن الجمهور اللبناني بدوره من اكتشاف أو إعادة اكتشاف هذا الفيلسوف السويسري العظيم المعروف عالمياً، وذلك من خلال الصفحات التي يسر سفارة سويسرا في لبنان أن تقدمها إليكم.

بالإضافة إلى نبذات مفيدة عن حياته وأعماله الرئيسة، تتضمن هذه الصفحات أفكار العديد من المفكرين عن رسالة جان جاك روسو السياسية. في لبنان اليوم، أنا متأكدة أن أفكاره التي تعالج مواضيع الخير المشترك، والمصلحة العامة، والعلاقات الاجتماعية، والدين، والتعليم، ومشاركة المواطنين في القرار السياسي، أو تلك التي تُعنى بالبيئة، سوف تلقى صدى خاصاً لدى الجميع.

أتمنى لكم جميعًا قراءة مجزيـة.

سفيرة سويسرا في لبنان

في الذكري المئوية الثالثة لولادة الأحيب جان- جاك روسو (28 حزيران -1712 جنيف)

حعت مكتبة البرج وسفارة سويسرا في لبنان الى لقاء بعنوان

### "جان- جاك روسو المتنور شق طرقاً

تتحدث فيه كاتيا حداد الأستاذة في جامعة القديس يوسف

أدبية جديدة"

اليوم الخميس الساعة 6,00 مساءً في مكتبة البرج، بناية "النهار"، ساحة الشهداء

ھاتف: 97 37 97-01 فاكس: 97 36 97-01 البريد الالكتروني: elbourj@cyberia.net.lb

(المحاضرة باللغة الفرنسية).

# قصّة عبقري كلل وتوّج اسمه بالنجاح، قصّة جان جاك روسو...

الخميس 28 حزيران 2012 السنة 79 - العدد 24754

ايزابيل فالكونيه

الذي استفرّ الكثيرين، والموسيقي الماهر، والمفكّر المحبوب والمُحتقر على حدّ سواء، والعبقرى الذي لم تصعب عليه صنعة، حياةً مضطربةً امتزجت مزجاً وثيقاً مع أعماله. أمام مدينة جنيف معلقة الأبواب، وقف جان جاك روسو، ابن السادسة عشر عاماً، برفقة صديقيه مساء

شهد هذا الكاتب المُبتدع، والمعلّم

يوم الأحد 14 آذار 1728. وعوضاً من انتظار بزوغ الفجر في نزل في سافوي، فضّل جان جاك مغادرة جنيف. فإذا به يخوض في منأى عن الآخرين غمار حياةٍ جديدةٍ تختلف كلّ الاختلاف عن حياة سائر البشر. في الـواقـع، يـشيـر وجــود روسـو الشاب أمام باب المدينة المغلق في هذا الوقت المتأخر من الليل إلى أنه كان يعيش حياة وحدة لا محال. فارقت أمه سوزان الحياة بعد تسعة أيام من ولادته، تاركةً الطفل لينشأ في كنف والده الساعاتيّ، إسحق. إلا أنّ والده، إثر إصابته نقيبًا في جيش أمير ولاية سكسونيا، هرب خوفًا من ملاحقة العدالة له، تاركًا جان جاك، وهو في سن العاشرة. تـزوّج إسحق لاحقاً من جديد في مدينة نيون، في مقاطعة فود، خارج اختصاص جنّيف القضائي، فوكّل خال الصبي غبريال برنار بتربيته. غير أن هذا الأخير تخلّص بدوره من المهمة موكلاً القس لامبرسيه الاهتمام بالشاب في مدينة بوسيه، على بُعد عشرة كيلومترات من جنيف عند سفح جبل سالاف. وبعد أن هام جان جاك على وجهه لفترة سنتين في حضن الطبيعة الريفية، عاد ليتعلُّم حرفة النقش على يد إبن الحادية والعشرين آبيل دوكومان القاسي لمستبد. فـاِذا بـه، بعيـدا عن كـل الروابط العائلية، يقضى أيام الأحد مع مجموعة من الشبان يُجرّونه خارج

### المدينة، ويقررون عدم العودة إلى

مدينة كالفين، ويقصد برفقتهم

الحانات الريفية في سافوي بإدارة

مجموعة من المنغمسين في ملذات

الحياة. وأحيانًا، كانوا يبقون خارج

ليلة في مدينة موتييه بعد أكثر من ثلاثين عامًا، وتحديدًا في ليلة 6 سبتمبر/أيلول 1765 يـوم مهرجان موتييـه في مقاطعة نيوشاتل التي كانت في ذلك الوقت ولاية بروسية، ألقيت الحجارة على المنزل الذي لجأ إليه روسو عقب الإدانــة العنيفة التي طالت كتابَين له في باريس وجنيف: إميل أو عن التربية Emile ou de l'éducation ثم رسائل من Lettres écrites de la الجبل montagne، لا سيما وأنه انتقد فيهما التعصب الدينى والإفلاس السياسي في جنيف. وفي تلك

الليلة، تُحطُّمت نوافذ المطبخ وخُلع بابان في المنزل، ووصلت الحجارة إلى عقر داره. ويــوم الأحــد الــذي سبق، كان القس فريـدريـك غيـلوم دو مونت مولان قد وجّه في عظته اتهامًا إلـــى روســـو، حتى

أنه وصفه بالمسيح الدّجال، مع العلم بأنه كان قد وافق في العام 1762 على مناولة روسو ومنع جنيف وباريس من اتهامه بالمرطقة. لم یکن سکان موتییه یحبّون تحت لباسه الأرميني الذي كان البعض يظنّه لباس الساحر.

يـرددون

روسو. وتجدر الإشارة إلى أنَّه كان يعاني مرضًا مؤلمًا في المسالك البولية، فكان يمشي مخبئاً أنبوبًا السكان

بينهم بأنه لا يؤمن بالله، حتى أنّ فولتير غذّى هذه الاعتقادات الشعبية، في كتيب مجهول الاسم بعنوان شعور المواطنين Sentiment des citoyens ذكر فيه تخلي روسو عن أطفاله الخمسة. وطلب مونت مولان من روسو عدم الحضور إلى المناولة، ثم حاول فصله عن الديانة المسيحية، وذلك قبل إثارة الكراهية ضده من

مرّت عقود أربعة تقريباً امتدّت بين 14 آذار 1728 و6 أيلول 1765، شملت باقةً من الكتب والفضائح والرحلات والتسريبات الأخرى والأصدقاء والأعداء وقصص الحب. وفي العام 1765، أصبح روسو وهو في الثالثة والخمسين من عمره، صاحب بعض الأعمال الرئيسة في مجال الفلسفة والأدب الفرنسي: خطاب في أصل وأسس عدم المساواة بين البشر Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité ر(1754) parmi les hommes رسالة إلى دالمبرت حول العروض Lettre à d'Alembert sur les spectacles (1758)، جولی أو هيلوييز الجديدة Julie ou la (1761) nouvelle Héloïse الـذي شكـل ثـورة فـي فـن الروايـة الفرنسية، و العقد الاجتماعي Du contrat social، وإميـل أو عن التربية Emile ou de l'éducation)، ورسائل من الجبل -Lettres écrites de la montagne (1764)، ومشروع Projet de دستور لکورسیکا Constitution pour la Corse

#### ـويز دي وارنز

يعود فضل روسو الكاتب والمفكر الكبير إلى الكاتب ديدرو. فعندما زار روسو هذا الموسوعي المسجون في مدينة فينسين جراء نشر رسالة عن المكفوفين Lettre sur les aveugles، قرأ روسو عن مسابقة تكفُّلت برعايتها أكاديمية ديجون سألت "إذا ما كان إحياء النشاط في العلوم والفنون من شأنه الإسهام في تطهير السلوك الأخلاقي"، فكانت بمثابة مصدر إلهام له إذ "تجلّت من خلالها كل تناقضات النظام الاجتماعي". بالتالي، عرض روسو هذه الرؤية المتناقضة للتقدم الحضاري في

أول خطاب له توّجته أكاديمية ديجون، ونُشر بنجاح كبير في العام نفسه مع صدور الجزء الأول من الموسوعة Encyclopédie.

(Lettres والعشور على زوجة تؤمّن له الاستقرار لكي يجد وظيفة. وبالفعل، حقق وقبل هذه المرحلة، أي ما بين مبتغاه العام 1728 وولادة الكاتب هــــذا الــذي يـكـمن في أحشائه في



تمثال لجان جاك روسو تم تشييده عام 1835 في قلب جنيف على "جزيرة القوارب" التي أعيد تصميمها وتسميتها "جزيرة (ریمی جندروز)

1750، التقى روسو بالسيدة فرانسواز لويـز دي وارنــز، إبـنـة التاسعة والعشريـن، التي ولـدت في عائلة بروتستانتية في مدينة فيفي، ثم اعتنقت الكاثوليكية وطلقت من زوجها في أنسي، وقد عيّنتها الكنيسة الكاثوليكية لتحوّل الأفراد إلى الكاثوليكية. وكان الكاهن في مدينة كوفينيون الشخص الأول الندي لجأ إليه روسو بعد هروبه من جنيف، وهو الذي نصحه بزيارة هذه "السيدة الرحيمة". فأصبحت "أمه"، وأصبح هو "صغيرها"، مشرّعةً له الباب إلى عالم البرجوازية المثقفة. أرسلته إلى مضيَفة المبتدئين الذين يدرسّون العقيدة المسيحية في تورينو، لكي

يتعمّد. وأصبح في ما بعد الأمين العام للكونتس في فارسيليس، ثم مدرّس الكونت في فافريا. طُرد روسو بسبب سلوكه العاطل، فعاد إلى أنيسي، حيث مكث في مدرسة اللعازريين، ثم ذهب إلى نوشاتيل ليعلُّم الموسيقي، ثم إلى باريس ليخدم ابن شقيق عقيد سويسري. التقى روسو مدام دي وارنـز في شامبيري عندما كان في العشرين من عمره. وعندما بلغ الحادية والعشرين، افترعته وأقَّامت نوعاً من العلاقة الثلاثية مع رئيس الخدم الذي كان يشاركها حياتها كلود أنيت. وعقب وفاة أنيت، حلّ روسو مكانه. وبما أنه كان مريضًا، طلب من مدام دی وارنز أن تجد له مأوی يُشفى فيه. فذهب إلى لي شارمات

Les Charmettes، وهو عبارة عن بيت ريفي في جنوب شامبيري، وعاش فيه حتى العام 1742. وأصبح في سنّ الثلاثين منعزلاً مواظبًا على الدراسة، يهوى قراءة كتب الفلسفة ويعلّم نفسه طوعًا، مدركًا أنه سيصبح معلمًا يومًا ما. وبالفعل، أصبح معلمًا في ليون، وكتب مشروع لتربية السيد دو سانت ماري Projet pour l'éducation de M. de Sainte-Marie، حیث انتقد أساليب التربية والتعليم

المعمول بها. في العام 1743، توجّه روسو إلى البندقية حيث وجد وظيفة سكرتير لدى سفير فرنسا. إلا أنّ الخلافات التي نشبت بين الرجلين أعادت روسو إلى باريس حيث اضطر إلى حط رحاله في "جمهوريـة الأدب" République des)

يقع روسو في حبها، ولكنه أنجب منها خمسة أطفال وكان مصيرهم جميعاً أن يودعهم أحد الملاجئ، لعدم قدرته على تربيتهم وإعالتهم وعيش حياة كاتب وربّ أسرة في آن واحد، بحسب ما أوضح لاحقاً في الأعترافات Confessions. وقّع روسو كتابه خطاب عن العلوم والفنون Discours sur les sciences et les arts على الشكل التالي "جان جاك روسو، مواطن من جنيف". de l'inégalité parmi les hommes ركيزة فلسفته الاجتماعية، ألا وهي: الإنسان ولد طيباً بطبعه ولكن المجتمع هو الذي يفسده. وأقام منذ العام 1756 مع تيريز في مدينة مونمورانسي في منطقة فال دواز شمال باريس، باستضافة الكاتبة المؤثرة لويز دي بيناي وسلفة

صورة لجان جاك روسو رسمها موريس كانتين دولا تور (1753)

في العام 1754، أعيد دمجه

في كنيسة جنيف واستعاد

بالتالي حقوقه كمواطن.

وفي العام 1755، جسّد كتابه

خطاب في أصل وأسس

عـدم الـمـسـاواة بـيـن البـشر

Discours sur l'origine

et les fondements

صوفي دوديتو التي أحبّها

حباً مجنوناً من طرف واحد

- فتوجّه نحو مرحلة جديدة

من حياته ككاتب. النجاح

الباهر الذي حققه كتاب

جولي أو هيلوييز الجديدة

Julie ou la nouvelle

Héloïse في العام 1761 أعطاه هالة عندما استدعاه دالمبرت في 1749 جديدة واجتذب تهكمات الأدباء، لكتابة مقالات حول الموسيقي بمن فيهم فولتير الذي لخّص الرواية في الموسوعة Encyclopédie، في جملة واحدة: "بطل الرواية هو وعندما التقى ماري تيريز لوفاسور، معلم يأخذ عذرية تلميذته رهناً له". وهي عاملة غسيل في فندق في شارع دي کـورديـه. کـانـت مـاری نشرت 72 طبعة حتى العام 1800: تيريز حنونة لا تعرف القراءة فكان الكتاب الأكثر مبيعاً في ذلك ولا الكتابة وهي التي سمحت له وللمرة الأولى بأن يكون حاميها بدلاً من أن يطلب حمايتها. لم

ولكن، ظنّ روسو بأنه سيفارق الحياة في هذه السنة نظراً لشدّة مرضه، قبل أن يتمّ نشر عملين رئيسين له، العقد الاجتماعي Du contrat social وإميل أو عن التربية Emile ou de l'éducation. بالتالي، طلب من الأستاذ دو ماليشارب مدير المكتبة المسؤول عن منح الموافقات، الموافقة على نشر الكتابين في المملكة، لينشر كتابه "اميل" أخيرًا، لا سيما وأنه "الكتاب الأخير والأنفع والأعظم من بين أعماله والكتاب الأقرب إلى قلبه". غير أنّ هذا الكتاب اعتُبر كافرًا خطرًا، وأثار ضجة وسخط السلطات الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء التى استنكرت عقيدة القس من جبل La profession de foi السافوا du vicaire savoyard في الكتاب الرابع، الذي ضم خطاب الكاهن الذي يعتبر بأنّ الدين يقضي بالاستماع إلى الضمير

الفردي أكثر منه احترام العقائد. التجأ روسو إلى مدينة إفردون، إلا أنّ حكومة برن طردته. فالتجأ إلى موتييه، على بعد أميال قليلة من إفردون لكن داخل إقليم نوشاتيل، لئلا يكون على مرأى ومسمع من الناس ولينمّي العلم الجديد الذي كانت نفسه تتوق إليه: علم النبات.

#### الاعترافات

بعد أن رُشق منزل روسو بالحجارة ليلة 6 أيلول 1765، تبدّلت حياة الكاتب رأساً على عـقـب... ولَّـي زمن الصراعات والاستفزازات، ليحلُّ مكانه زمن الانطواء والإبعاد والذكرى والحصيلة والتبرير. أقام

### محطات من حياته

**300 سنة** على جان-جاك روسو

1712 : ولد جان جاك روسو في جنيف في 28 حزيران في شارع "لاغراند رو" La Grande- 40 (Rue 40). توفّيت والدته سوزان برنار في 7 تموز على أثر

1717 : انتقل إسحق روسو مع ولديه للعيش في شارع "كُوتانس (Coutance)" في حي "سانت جرفيه" (-Saint Gervais) في جنيف.

1722: ترك والده جنيف على أثر خلاف وانتقل للعيش في نيون 1722 : أودع جان جاك في مدرسة داخلية لدى القس لامبرسيي (Lambercier) في رعية بوسيه (Bossey).

1724 : عاد إلى جنيف وسكن مع خاله غبريال برنار، تلقّي علومه لدى ماسرون (Masseron)، الكاتب المسؤول في المدينة.

1728-1725: واصل تحصيله العلمي لدي دو كومان " (Ducommun) الذي يعمل

1728 : غادر جنيف في 14 آذار. يصطحبه كاهن كونفينيون (Confignon) إلى السيدة دو وارنز (Mme de Warens) في أنيسي (Annecy).

1728 - 1728: في تــوران (Turin)تخلّی عن البروتستناتیّة واعتنق الكاثوليكيّة وتلقّي العماد في 23 نيسان. عمل لدي السيّدة دو فرسيللي (Mme de Vercellis)ومـــن ثــمّ لـدى الکونت دو غوفون (comte de

1729 : عاد ليمكث لدى السيّدة دو وارنز (Mme de Warens) في أنيسي (Annecy). التحق بجُوقة المرتّلين في مدرسة كاتدرائية أنيسي كتلميذ

(مركز الأيقونات، مدينة جنيف)

روسو لوقتِ وجيز في جزيرة سانت

بيير الواقعة في بُحيرة دو بيان، ثم

طُرد مرة أخرى فتوجّه إلى انجلترا

برفقة الفيلسوف هيوم. وفي 1767،

عاد إلى فرنسا واستقر في تري

(Trye) ثم في ليون وباريس حيث

كانت زيارته إلى قبر السيدة دي

وارنز، التي فارقت الحياة وحيدةً في

العام 1762، مؤثرة جدًا. وفي هذه

الفترة، أكبّ روسو على كتابة سيرته

الذاتية. تـزوج من تيريز في العام

1768 في بورجوان. أُنجز الجزء الأول

من الاعترافات وقُرئ شفويًا في العام

1770، لكن الكتاب لم يصدر سوى

بعد وفاة روسو. كتب روسو محاورات

ثلاثاً أسماها روسو قاضي جان جاك

Rousseau juge de Jean-

Jacques في 1775 و1776،

ثم أحلام اليقظة للمتجول الوحيد

Rêveries du promeneur

solitaire في السنتين التاليتين.

وفي 1778، استضافه الماركيز

دي جيراردان في مدينة إرمنونفي،

بالقرب من باريس. وفي هذا المكان،

فارق الكاتب والفيلسوف الحياة

على غرّة في 2 تموز 1778، جراء

سكتة دماغية على الأرجح. وبعد

يـوم من إعـلان وفـاتـه، أعـدٌ النحّات

جـان انـطـوان هـودون قالبًا لوجه

المتوفي. وفي 4 تموز، عند الساعة

الحادية عشرة مساءً، دفن الماركيز

دي جيراردان الجثة في جزيرة

بوبلييه. وسرعان ما أصبح اسمه

على كل لسان وتقاطر الزوار إلى

ضريحه، وسرعان ما أطنَب الثوريون

في إطرائه، وطُلب نقله الى مدفن

عظماء فرنسا، البانتيون. فكرّمته

الأمة الفرنسية في 11 تشرين الأول

1794 أثناء حفل كبير، نقلت في

خلاله رفات روسو من إرمنونفي إلى

البانتيون حيث رقد صدفة أمام

مقال صدر في النشرة الاستثنائية

المخصصة إلى جان جاك روسو

(2012)، تمّ نشره في المجلة

السويسرية L'Hebdo

1730 : قام برحلة طويلة تنقّل خلالها سيرا من نيون (Nyon) إلى فريبورغ (Fribourg) ولوزان (Lausanne) وفيفي (Vevey) ونوشاتل (Neuchâtel). أعطى دروسا في الموسيقي.

1731 : في بودري (Boudry)، عمل مترجما لأرشمندريت كاذب رافقه إلى نوشاتل (Neuchâtel) وفـريـبـورغ (Fribourg) وبـرن وصولا إلى سولور (Soleure) حيث انكشفت الخدعة. عاد ليقيم في نوشاتل (Neuchâtel) ومن ثم غادر إلى باريس ليعود بعدها إلى شامبيري (Chambéry) لدى السيدة دو وارنـز (Mme de Warens). عمل في دائرة المساحة في سافوا (Savoie).

1732 : سافر إلى بوزانسون (Besançon)ليتعلّم الموسيقي. 1734 : تـوفـي كـُـلـود أنيت (Claude Anet) فاستلم محلّه إدارة الشؤون المالية لدى السيّدة دو وارنز (Mme de Warens). 1735 : أقام في شارميت .(Charmettes)

1737 : عاد إلى جنيف باسم مستعار سعيا للحصول على إرث والدته. سافر إلى مونبولييه (Montpellier) لاستشارة الطبيب د. فيزيس (Dr. Fizes) بموضوع ورم في القلب.

1738 : لــدى عـودتــه من مونبولييه (Montpellier) وجد أن ويتزنريد (Witzenried) عشيق السيدة دو وارنـز (Mme de Warens) شغل مكانه منصب مدير الشؤون المالية

عائلة دو مابلي (de Mably) في ليون (Lyon).

1741 : عـاد إلـى شامبيري (Chambéry). عمل على وضع

باریسو (Epître à Parisot) وغادر متوجّها إلى باريس.

الموسيقي المعاصرة وبدأ بإعداد أوبرا "الآلهات الأنيقات" ((Les Muses Galantes. عمل سكرتيرالدى الكونت دومونتيغو (Comte de Montaigu)

1745 : ارتبط بتريز لوفاسور

1747 : توفّي والده في فيفي

دیبینای (Mme d'Epinay).

المقالة عن العلوم والفنون.

فونتينبلو (Fontainebleau) في حضرة الملك.

اللقاء الأخير مع السيدة دو وارنز (Mme de Warens). انضم من جديد إلى كنيسة جنيف وقبل عضوا فاعلا فيها واستعاد حقوقه كمواطن في جمهورية

1755 : نشر المقالة عن جذور عدم المساواة بين الناس. مراسلات بينه وبين فولتير .(Voltaire)

.(Montmorency)

1758 : بعث رسالة إلى دو ألمبير

1759 :التقىمارشال لوكسمبرغ دعوة منه.

← 1740 : عمل مدرسا لدى

العلوم والفنون في باريس مشروعه المتعلق بالإشارات الجديدة للموسيقي.

سفير فرنسا في الفندقية.

(Thérèse Levasseur) المكلفة بأعمال التنظيف في الفندق حيث كان يقيم.

(Condillac) وديــــدورو (Diderot). شهد ولادة أوّل أبنائه الخمسة الذين أودعوا في دار الأطفال اللقطاء". عمل سكرتيرا لعائلة دوبان (Dupin) وسكن معهم في قصر شونونسو .(Chenonceaux)

بحرقهما. هـرب روسـو إلى 🛨

(Luxembourg): بدء علاقة متينة. استقرّ في مونت مورانسي (Montmorency) بناء على

1761 : إيلوييز الجديدة (La Nouvelle Héloïse)



نظام جديد للتدوين الموسيقي. 1742 : أنهى كتابة رسالة إلى

1742 : عرض في أكاديمية

1743 : نشر البحث في

1744 : غادر الفندقية عائدا إلى

1746 : صادق كونديلاك

1748 : أقام في لاشوفريت (La Chevrette)، في منزل السيدة

1749 : تـعـاون فـي إعـداد الموسوعة". تمّ توقيف ديدورو (Diderot) في فنسين (Vincennes). وُفِي طريقه لزيارته حل عليه الوحى فكتب

1750 : حازت المقالة عن العلوم والفنون الجائزة الأولى في أكاديمية العلوم في ديجون

1752 : عرض كاهن البلدة في

1753 : نشر رسالة عن الموسيقي

1754 : سافر إلى جنيف.

1756 : استقرّ في منزل السيدة (Mme d'Epinay) دیبینای الكائن في ريف مونت مورانسي

1757 : أغرم بالسيدة دو هودوتو .(Mme d'Houdetot) اختلف مع ديــدورو والسيدة دیبینای (Mme d'Epinay). انتقل للعيش في مونت لويس (Mont-Louis) في مونت مورانسي (Montmorency).

(d'Alembert) عن المشاهد. أنهى كتابة جولى (Julie) أو إيلوييز الجديدة (La Nouvelle

تصدر في باريس وتلقى نجاحا. 1762 : تمّ نشر كتابيه العقد

(Contrat Social) الاجتماعي وإميل (Emile) اللذين أدانهما البرلمان في باريس وحكم



جوليان بوري، إليزابيت غوردون، ستيفان غوبوو

كاتب مبدع ومقرّب من الناس، مربّ محرّض ناقم، عاشق متيّم بالطبيعة، موسيقي ماهر وخلاّق، إنّه جان جاك روسو الذي أثّر ولا يـزال إلى اليوم يـؤثّر، بلمسة العبـقري البـارع، في مجالات مختلفة.

روايته جولي أو "إيلوييز الجديدة"

#### الكاتب

عبارة عن مجموعة من الرسائل صدرت في عام 1761 تحت عنوان فرعى هو رسائل عاشقين لمدينة صغيرة في جبال الألب جعلته كاتبا شعبيًا. فهذه الروايـة تحكي قصّة حبّ لا يقاوم نشأت بين جولي ديتانج (Julie d'Etanges) ومعلّمها سان برو(Saint-Preux) . إِلاَّ أَنَّه فُرِض على جولي أن تتزوّج من السيد دو ولـمـار (M. de Wolmar) وأن تعيش معه في كلارنز (Clarens)... وعلى الرغم من الحبّ الـذي كان يربطها بسان برو، بقيت زوجة وأمّا مثاليّة وفاضلة. في النص يصوّر الكاتب العودة إلى الطبيعة الغالية

روسو الكاتب أي أيضا، وبالتأكيد، روسو مؤلف الكتب 12 "الاعترافات" (Les Confessions) التي نشرت بعد وفاته، وهي روايات تسرد سيرته الذاتيّة في نفحات من الخيال أحيانا والوجدانيّة أو العاطفة أحيانا أخرى. إلى جانب "تخيّلات متجول وحيد" Rêveries du promeneur) solitaire) التي لم يتسنّ له إكمالها فطبعت أيضا بعد وفاته. بالنسبة إلى فيليب لوجون (Philippe Lejeune)، المتخصّص في تاريخ السير الذاتية، روسو خلق ثورة في الكتابة عن الذات. "لم يكن أوّل من كتب قصة حياته، لكنه كان، بعد مونتاین (Montaigne)، أوّل من كتبها بأسلوب تأنس له النفس تميّز بجدية فائقة ومنهجيّة علمية بارزة". والعالم الفرنسي صاحب هذه النظرية يذكّر بأنّ معاصريه لم يتوانوا عن الرد: "لقد صدم أخصامه، وهذا طبيعي، صدمهم بجرأته الفاضحة، وخاصة بفضوله لمعرفة الأشياء التي كانت بالنسبة إليهم مبتذلة تافهة أو لا جدوى منها، في حين أنّها كانت بالنسبة إليه، على غرار فرويد ِFreud) بعض الشيء، منارة تـضيء "سلسلة من الانفعالات الخفيّة السرية" في مكامن شخصيته. لقد أرهب أيضًا أصدقاءه! ففي عام 1782، عمد مولتو (Moultou) ودو بييرو (Dupeyrou) إلى فرض رقابة على نشر الجزء الأول من "الاعترافات". مهم إدراك مقياس الظاهرة الأدبية التي بدأها روسو بأعماله . يتابع فيليب

لوجون قائلا: "لقد شهدت أوروبا بأسرها "صدمات متواترة " من جراء كتاب "الاعترافات" المثير للعجب (بنهجه) والجذاب (بأسلوبه) والجارح (بتصاريحه) والمحيّر المقلق (بتحدّي روسـو الـقـارئ عـلى التـشبّـه بــه!)".

غريب كيف أنّ الكاتب في القرن

التاسع عشر كان مثالا لا يحتذى به

ليصبح في القرن الذي تلاه "نبيا"



التربوي. فمو لا يعتبر الولد صورة مصغّرة للرجل إنّما كائن يعمل ويتحرك بحسب منطقه الخاص. فالمجتمع فاسد إلى درجة كبيرة حتى بات يتعذر فيه تربية الأولاد تربية صالحة وتعليمهم "مهنة الإنسان" وإعدادهم ليصبحوا أبناء صالحين في خدمة الوطن. في إميل، يضع روسو تصورا للتربية المثالية. يجب تفادي الطلب صراحة إلى الولد عدم القيام بما يريد القيام به. الولد لا يتلقِّي أي أمر ولا يخضع لأي ضغط! يكفى الولد أن يتشرّب الإحساس، وعندها "لا يقوم إلا بما تريدون منه أن يـقوم بـه". ويـوصي روسـو قائلا إنّ الولد، إذا كسر شبابيك غرفته، "اتركوا الهواء يعصف به مساء ونهارا

دون أن تخشوا إصابته بالزكام.' وبالتالي يتعلم التفكير من تلقاء نفسه ويختبر "مضرة الحرمان" وفي المستقبل سيعرف اختيار السليم والأنسب ولن يكسر شباكا بعد ذلك. بالنسبة إلى أوليفييه موليني (Olivier Maulini)، البروفسور في كلية علم النفس وعلوم التربية في جنيف، فإن الثورة التي أحدثها الفيلسوف تكمن في أنـه "فهم التربية انطلاقا مما يحتاج إليه الولد" بمعنى أنه من الضروري "أن نعرف كيف نطرح الفكرة المرجوّة لنجعل الولد يشعر بنفسه بالحاجة إلى ما نريد ترسيخه في ذهنه". وبحسب هذا المؤلف للعديد من كتب التحليل في مجال التعليم، روسو لا يتوانى عن تخدام الخدع التربوية للوصول إلى غاياته. "فهو مثلا في الفصل الذي يتحدث فيه عن تجواله في غابات مونتمورانسی (Montmorency)، يحاول تعليم إميل علم الفلك. لكن بالنسبة إلى إميل هذا العلم يفرض عليه ولا نفع له منه. فيقترح عليه

كتاب الفيلسوف لا يزال نموذجا في التعليم! "هذا العمل، بالنسبة إلى، وهم وتنظير في التربية. فروسو يخترع تلميذا وهميا يستطيع أن يتحكم بـه بحسب أهـوائـه. لديـه تلميذ واحد وليس صفا بكامله! ولا أظن أنه يمكن الاستناد حصرا إلى خبرة التلميذ المباشرة. لا بد أيضا المعلَّم القَّيام بنزهة ويـدبِّر أمر من الفصل مع ما هو مألوف ووضع الضوابط وتحديد الأسئلة وإعداد ضياعهما في الغابة قصدا. ما السبيل الولد لخوض تجارب أخرى تستمد ليجد إميل طريق العودة؟ هكذا من المكتسبات السابقة في المجالين أصبح إميل مهيأ لتعلم مفاهيم علم العلمي والثقافي...لكن هذه المسألة الفلك التي يمكن من خلالها تحديد القديمة الحديثة لا تزال إلى اليوم وجهة الشمال. وبالتالي تحقق الهدف ولم يعد التعلم بالنسبة إلى مثار نقاش وبحث في المدارس.'

روســـو، أثـــار فـضـيـحـة فـاضطـر

à d'Alembert - "جان جاك، أحبّ

بلدك" – لطالما عرف روسو تعلقًا

عاطفيًا بمسقط رأسه، فكتب في

الاعترافات les Confessions: "لم

أرَ قط جدران هذه المدينة السعيدة

ولم أدخل إليها قط من غير أن أضعف

أمامها، وهو شعور ينبع من حنان

وحرص روسو أيضاً على أن يكتب

تحت اسمه "مواطن من جنيف" على

فائض أكنه لها".

#### إميل واجبا إنما أصبح رغبة لديه رائد في علم البيئة وحاجة اختبرها." السياسية عندها صدر كتاب

روسو المفتون "بمشهد الطبيعة"

الفيلسوف إلى الابتعاد ونفي. ومنع

نشر الكتاب في فرنسا كما في

جنيف. وحتى تاريخ اليوم لا يزال

كتاب إميل مثارا للجدل ومدعاة

للخلاف. يضيف أوليفييه موليني

(Olivier Maulini) مؤكدا أنه

على الرغم مما أشيع حول الكتاب

فإن "فكرته في أن يقترن التعليم

بحالة يفهم من خلالها الولد قيمة

هذا التعليم ومعناه تستعمل اليوم

على نطاق واسع. "بيستالوزي

(Pestalozzi) كان أول مؤيدي

روسو وأبرزهم أمافي القرن العشرين،

فيذكر إدوار كلاباريد (Edouard

Claparède) الذي يتحدث عن

"الثورة الكوبرنيكيّة في التربية"

ما هي الحال اليوم؟ فهل أن

واصفا الأثر الذي تركه روسو."

جاك روسو في كل أعماله. هذا المفهوم كان بالتأكيد رائجا جدا في القرن الثامن عشر. وروسو الكاتب والفيلسوف كان أول من شدّد على ضرورة الحفاظ على التوازن بين الإنسان والطبيعة. لذا فهو اليوم يمثل بالنسبة إلى عدد من الأخصائيين رائدا في علم البئية. "جان جوريس (Jean Jaurès) يعتبر روسو شخصا "سبق عصره وتأخر عن عصره" وتصديقا على ذلك يقول مارتن رويف (Martin Rueff)، أستاذ اللغة والآداب الفرنسية الحديثة في جامعة جنيف، أنّ روسو كان سباقا جدا في مجال

"روسو الكاتب والفيلسوف كان أول من شدّد على ضرورة الحفاظ على التوازن بين الإنسان والطبيعة."

وعالِم نبات وعالِم أعشاب نادي

بالتوازن بين الإنسان ومحيطه

الطبيعي. فالطبيعة ترافق جان

رقــة الإحـسـاس الـتــى تـميـز بها تظهر في بدايات كتاباته. ردا على سؤال طرحته أكاديمية ديجون في عام 1750 عما "إذا كان إصلاح العلوم والفنون قد ساهم في تنقية الآداب" كتب روسو مقالة حازت الجائزة الأولى. فهو يهاجم العلوم والفنون التي تفسد الإنسان: "فلتعرف الشعوب ولو مرة أن الطبيعة أرادت الحفاظ على العلم تماما مثل الأم التي تنتزع السلاح الخطر من يدي ولدها." يـقـول ألان سرنـوتـشي (Alain Cernuschi)، أستاذ التعليم والبحث في مدرسة الفرنسية لغة أجنبية في جامعة لوزان معلّقا أن روسو، في أولَّى كتاباته الفلسفيّة، "يعتبر أن الطبيعة سليمة وأن المجتمع يدخل

عليها الشقاق وأوجبه عدم المساواة

روسو ليقرأ المشروع حول العلامات

الموسيقية الجديدة Projet

concernant de nouveaux

القائمة بين البشر."

یشیرِ مارتین رویف مؤکّدا، تفادیا للغط، "أنّ الطبيعة بحسب روسو لم تكن الطبيعة المؤلِّفة من الحيوانات والنباتات والمعادن. المقصود بالطبيعة هو "الطبيعة الإنسانية" فنظريته ليست الدفاع عن الطبيعة بحد ذاتها إنما إيجاد صلة بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة تمكّن الإنسان من العيش فيها في هناء. الأمر يتعلق بمفهوم سياسي يرتبط بعلم الإنسان." ويضيف البروفسور في هذا السياق أن "روسو قادر على أن يعطي اليوم دروسا لعلماء البيئة." على غرار من سبقه، يكشف روسو في مقالة ديجون نفسها عن حنينه لمثال جنة ضائعة. "لا يسعنا التفكير في العادات من غير أن نتذكّر مشاهد البساطة التي كانت في الأيام الأولى. إنها ضفة هانئة تركن بين أحضان الطبيعة وحدها نصبو إليها دون كلل وتتوق إليها أنظارنا ونشعر بمرارة في ابتعادنا عنها." هذه العبارة سخر منها فولتير قائلا: "يروق لي حضرة السيد أن أراك تحذو حذو البقر وتذهب لترعى العشب في المراعي." في الحقيقة، يشير مارتين رويف، روسو ليس من دعاة العودة إلى الوراء إنّما يصبو إلى إقامة توازن بين الإنسان والطبيعة، ويؤكد عن اقتناع أن

روســو، لـو كــان عـائـشـا فــي أيــامـنـا الحالية، كان ليصبح من أبرز مهاجمي النظام الاقتصادي العالمي". فهل هذا نتيجة خيبته من الطبيعة الإنسانية أم نتيجة إساءة عميقة لحقت به من الإنسان؟ روسو

تجاهل ما قیل عنه وکــرّس وقته

جنسية من نيوشاتل، وحصل عليها

في العام 1763. ولكن هذا لا يعنى

أنه سويسري: لم تكن إمارة نيوشاتل

بين روسو والطبيعة". فالمؤرخون يعتبرون أن الكاتب هو أحد أوائل

من أحسوا بالطبيعة" هذا الإحساس

الذى لا يزال، بعد ثلاثة عقود ونصف

العقد، يثير حماسة علماء البيئة.

للتأمّل في الطبيعة. ففي كتاباته

التي تحدّث فيها أكثر من غيرها عن

تجربته الشخصية وهي "الاعترافات"

و "تخيلات متجول وحيد" تظهر رهافة إحساسه لما يسمّيه بـ "مشهد

الطبيعة" ويتذكّر كيف كان يختال

في الغابات ويتنزّه في القارب عند

بحيرة بيين (Bienne) مستلهما

الطبيعة في ندائه الشهير: "أيّتها

الطبيعة، يا أمِّي، ها أنا تحت

رعايتك وحدك". وعن هذا

يـقـول آلان سيرنوتـشي

(Alain Cenuschi)أنّ العلاقة

الفلسفيّة لروسو بالطبيعة

أصبحت "علاقة عاطفية

في تلك الحقبة من حياته

عندما استقرّ في موتييه

(Motiers) في مقاطعة

نوشاتیل (Neuchatel) فی عام

1762، بدأ اهتمامه بعلم النبات.

ويوضح الأستاذ في جامعة لوزان

أنّ روسو "على الرغم من اعتباره

هذه الممارسة مجرد فترة

استرخاء وراحة، إلا أنه انكبّ

على دراستها بالعمق." فقد

جمع الأعشاب واهتمّ بدراسة

الأنظمة التي وضعها علماء

الطبيعة المعاصرين له على مثال

لينيه (Linne) وبوفون (Buffon)

ونشر رسائل على علم النبات و

يـقـول مـارتـن رويــف (Martin

Rueff) أنّ هـذا العلم يستجيب

لعلاقة "الترابط والتباعد في آن

معجم علم النبات.

حميمة".

الموسيقي يُقال إنه على هامش نشاطات روسو الأدبيّة، نما في نفسه شغف بالموسيقي بقي مستترا بعض الشيء ووُصف أحيانا بمجرد الهواية على غرار اهتمامه بأمور علم النبات. ولكن عند النظر مليا في مسيرته الفنية، ينعدم الشك في أن حبّه

للموسيقي كـان أقـلٌ أهـميـة من تذوّقه للكتابة. ففي سنوات التمرّس التي أمضاها لدى من أسماها "أمـا" لـه، السيدة دی وارنـز (Mme de Warens)، تفتحت عينا ابن جنيف على إيحاءات الموسيقي ترافقه فيها ابنة فيفيي (Vevey) على أنغام من قيثارتها. هكذا اكتشف دراسة الأنغام بمبادئها الطبيعية، وهو عمل نشره جان فیلیب رامو (Jean-Philippe Rameau)، أحد أبرز المؤلفين الموسيقيين في القسم الثاني من القرن الثامن عشر، في عام 1722. وبعد أن أنهى هذا البحث مقترحا تصورا حسابيّا للتأليف، قرّر روسو أن يسهم هو أيضا في تاريخ الموسيقي النظريّة. يخلص ألان غروسريشار (Alain Grosrichard)، رئيس جمعيّة جان جاك روسو قائلا إن روسـو اقـتـرح، فـي مقابـل التـصوّر العمودي لرامو (Rameau) الذي يعتبر الموسيقي مجموعة مكومة من النوتات المتسقة المفترض أن تصدر لحنا رنانا، تصوّرا أفقيا يحبّد النهج المتعلق بالنغم واللحن. هذا

علىمدى حياتهالمهنيّةلميتوقّف روسو يوما عن الاهتمام بالموسيقي. فمعجم الموسيقي الذي أنهي إعداده في عام 1765 وجرى تحريره بعد سنتين يعتبر عملا أساسيا. وفي أواخر حياته شكّلت مكتسباته الموسيقية الوسيلة المادية الوحيدة بالنسبة إليه للاستمرار في الحياة. وهوإن اعتز باستقلاله ماديا فالفضل يعود في ذلك إلى مقطوعاته الموسيقية التي أمّن من خلالها، عن طريق نسخها، مدخولاً يعتاش منه. أما المؤسف بالنسبة إليه وإلى زوجته خاصة أنه كان يستقبل العديد من الفضوليين يأتون لزيارته بحجة طلب مقطوعةمنه،وهم في الواقع لا يبغون سوى التعرّف إلى روسو الشهير الذي أثارت كتاباته فضيحة كبرى، الأمر الذي دفع به إلى مغادرة باريس للمرّة الأخيرة والاستقرار في إيرمينونفيل (Ermenonville) لدى الماركيز دو جیـراردیــن (Marquis de Girardin) حيث أمضى آخر أسابيع

النهيار

الجديدة للموسيقي قرر الكاتب

المولع بالموسيقي عرضه في باريس

وعلى الرغم من الترحيب الخاص

به، كان عليه أن يفهم أن علماء

آخرون بأصول الموسيقي وضعوا قبله المقاربة نفسها، وبالتالي فهو

لن يحقِّق لنفسه الاسم المرجوّ من

هذا النص، ولا من مؤلَّفاته عندما

كان شابا: فعمله الغنائي الأول

اكتشاف العالم الجديد الذي أنجزه

عام 1740 لم يحدث أي وقع يذكر

لدى عرضه في ليون. إلاّ أنّ ذلك

لم يحبط عزيمته، هو إبن جنيف

الواثق من نفسه، في أن يصبح

رامو الجديد، فكانت أوبرا "الآلهات

الأنيقات" (Les muses galantes)

التي شكلت بالفعل، في عام 1745،

لمحة عن "النيلات الأنيقات" (Indes

وفي عام 1743، وبعد أن نُشر على

حسابه بحثا عن الموسيقي الحديثة،

استقرّ روسـو في الفندقيّة لفترة

أشهر عديدة شكّلت مفصلا أساسيا

في صقل إحساسه بالموسيقي.

وهكذا، في بداية عام 1750 عندما

تُسبّب "خُصام المهرجين" في

حصول مواجهة بين المدافعين عن

الموسيقي الفرنسية والمعجبين

بكبار الأساتذة الإيطاليين، انحاز

للمؤلفين من ما وراء الألب، فكتب

في عام 1753 رسالة عن الموسيقى

الفرنسية دخل فيها بمواجهة

مباشرة مع رامو. أما الموسيقيّون في

أوبرا باريس الذين هالتهم التهمة

المباشرة التي تعرّضوا لها في هذا

النص فقد دافع عنهم مؤلف "النيلات

الأنيقات" برسالة مؤلف السمفونيات

في الأكاديمية الملكيّة للموسيقي

ورفاقه في الأوركسترا ردّ فيها

على روسو. ولكن السوء حصل: لقد

أقفلت أبواب عالم الموسيقى أمام

أنظار ابن جنيف بعد أن كان قد

عرف، في سنة قبل اليوم، النجاح مع

أوبرا كاهن البلدة التي لاقت ترحيبا

لدرجة أنّها عرضت في فونتينبلو

(Fontainebleu) في حاضرة الملك

لويس الخامس عشر.

galantes) للمؤلف الفرنسي.

في أكاديمية العلوم.

مقال صحر في النشرة الدستثنائية المخصصة إلى جان جاك روسو

(2012)، تمّ نشره في المجلة

السويسرية L'Hebdo

# إلى من ينتمي روسو؟

لم تنفكّ الاحتفالات الخاصة بالرجل العظيم جان جاك روسو تثير أسئلة كثيرة حول انتمائه "الوطني". فهل هو من جنيف أم سويسرا أم فرنسا؟ قد تبدو هذه المسألة في العام 2012 عديمة الفائدة، ولكن قد يكون التطرق إليها مثيرًا للاهتمام: من ناحية أولى، لم يسمح الوضع السياسي في ذلك الوقت ومسار روسو الصاخب بالحصول على جـواب بسيط على هذا السؤال المتعلق بـ"هويته". ومن ناحية أخرى يشكل مفهوم الانتماء هذا أحد العناصر المهمة في الموقف الذي اعتمده الفيلسوف في أعماله.

#### روسو الجنيفي؟

ولد جان جاك روسو في جنيف في 28 حزيران/يونيو 1712، وقضى فيها أول 16 عامًا من حياته، إلى أن وجد أبواب المدينة مغلقةً في ليلة من ليالي آذار/مارس 1728، فقرر الابتعاد عنها. وباستثناء إقامته السرية القصيرة في 1737 لأخذ إرث والدته، لم يعش فيها سوى لبضعة أشهر في العام 1754.

وبناءً على الإرشادات الأبوية التي

رواها في رسالة إلى دالمبرتLettre

صفحات عنوان كتبه: خطاب في أصل وأسس عدم المساواة بين البشر Discours sur l'origine et les

fondements de l'inégalité والعقد الاجتماعي Contrat social وإميل Emile. غير أنّ علاقات روسو مع مسقط رأسه معقّدة. ففي الواقع، تـمّ استبعاده من جماعة مواطني جنيف عندما تبرأ من البروتستانتية في تورينو في العام 1728. غير أنه عاد إلى الكنيسة البروتستانتية في العام 1754 عن عمر يناهز 42 عامًا واسترجع بالتالي حقوقه المدنية في جنيف، ولكن لبضع سنوات فحسب. في العام 1762، حظّرت سلطات جنيف كتابي روسو اميل والعقد الاجتماعي فتمّ إتلافهما بالحرق،

الأمر الذي دفعه إلى التخلي رسميًا

ونهائيًا عن برجوازية جنيف. ولم

سالفَ الزمان على عشيقة خادعة". تـمّ تـطويـرهـا وحملت اسم "جزيـرة

كانت جنيف في العام 1712 جمهوريةً مستقلةً، وبقيت على هذه الحال حتى العام 1798، حين انضمت إلى فرنسا الثورية وأصبحت مركز "مقاطعة ليمان" حتى العام 1813، ثم اختارت الانضمام الي الاتـــــاد الـســويــسـري فــي -1814 1815. كانت جنيف تتمتع في القرن الثامن عشر بعلاقة سياسية وثيقة مع "الهيئة السويسرية" في الكانتونات الثلاثة عشر. ومن خلال التحالف مع برن وفريبورغ، ثم مع برن وزيوريخ، تمكّنت جنيف من الصمود في وجه دوقات سافوي وفي وجه الضغوطات الفرنسية في ما بعد. فعلى الصعيد السياسي، تقع جنيف في دائرة نفوذ الاتحاد. كان معاصرو روسو يصفونه

يعد أبدًا إلى "وطنه الحبيب"، حتى عندما عبر بحيرة ليمان في القارب وأصبح قريبًا بما يكفِي لرؤية أجراس المدينة. وكتب لاحقًا: "رحت أتحسّر بجبن رهيب كما كنت أتحسّر في في العام 1792، أعادت جنيف إلى روسو حقوقه، ثم دشّنت في العام 1835 تمثالاً على شرفه في جزيرة إيل دي بارك في قلب المدينة التي

#### روسو السويسري؟

فى كتاباتهم بأنه من جنيف أو سويسرا على السواء. وعندما أتى

signes pour la musique في أكاديمية العلوم في بـاريـس، في

1742، ذكرت مقدّمته أن "سويسرا وطنه". وفي الواقع، يـقول روسو في بعض الأحيان في مراسلاته إنه وينبغي أن نفهم المصطلح هذا من الناحية الجغرافية، كما يقال "الإيطاليون أو "الألمان": لم يكن من جنسية "سويسرية" بحدّ ذاتها فى ذلك الوقت، وكل سويسري لم

يرتبط قانونيًا سوى بمقاطعة معينة

يعرف روسو أراضي سويسرا الفرنكوفونية خير معرفة: ففي العام 1730، زار جمهورية فو (Vaud) التي كانت في ذلك الوقت تحت هیمنة بیرن (نیون، لوزان، فیفي)، ونوشاتيل وفريبورغ، ثم فاليه في العام 1744. وتوجّه في العام 1762 إلى إيـفردون ثـم موتييـه (كانتون نوشاتیل) عندما هرب من فرنسا وقرر عدم العودة الى جنيف. ولكن سكان موتييه طردوه في 1765، فاضطر إلى الذهاب إلى جزيرة سان بيير (على بحيرة بيان) لمدة ثلاثة أشهر قبل أن يطرد مرة أخرى من قبل السلطات في بيرن. ولد روسو في جنيف وفارق الحياة في نوشاتيل. في الواقع، طلب الفيلسوف المنبوذ الحصول على

التي كانت تحت حكم الملك البروسي فريدريك الثاني في ذلك الوقت، جزءا من اتحاد الكانتونات الثلاثة عشر... ولكن كما هو الحال بالنسبة إلى جنيف، غالبًا ما كانت ترتبط نيوشاتل في ذلك الوقت بهذا التحالف السياسي المتعدد. روسو الفرنسى؟ قضى روسو معظم حياته كراشد

في فرنسا: 33 سنة بالإجمال، بعد عشر سنوات أمضاها في سافوي، وهي منطقة داخل مملكة بيدمونت سردينيا. تزوج في 1768 من امرأة فرنسية، تيريز لوفاسور كانت خادمة للغسيل، ولديه منها خمسة أطفال (كان مصيرهم جميعاً أن يودعهم أحد المستشفيات في باريس). بعد عودته من إنجلترا في العام 1767، لم يغادر فرنسا قط. فارق الحياة في إرمنونفي، قرب بـاريـس في العام 1778. كان جزء من أنساب روسو متأتٍ من باريس (الجيل الخامس)، ولكن لم يذكر ذلك قط كسبب بقائه في المملكة، بل كان يعتبر نفسه "غريباً". وقد استخدم أعداء روسو، من بينهم فولتير، هذا الاعتراف كحجة في جدالاتهم. غير أن كلّ من الأدب والحياة الفكرية

كان يجذب روسو أولاً في هذا البلد

الذي لطالما كانت علاقاته معه غامضة، بين القرب والبعد، والجذب والرفض. من الخطأ التحدث عن فرنساك "البلد المختار"، لأن دفنه في البانتيون جعله فرنسيًا بطريقة رمزية فحسب بعد وفاته، لا سيما وأنه نقل إلى مدفن عظماء فرنسا في العام

التصور أدّى في عـام 1742 إلى

كتابة مشروع يتعلق بالمؤشرات

#### موقف "البربري"

لم ينفك جان جاك روسو يطالب من منتصف العام 1740، بهامشيته الاجتماعية والدينية والسياسية، ولكن أيضًا الجغرافية أو الوطنية. ومن خلال المطالبة بمقوقه كـمـواطـن فــي جـنـيـف، وبـوصـف نفسه بـ"السويـسري"، سعى أيضاً إلى التأكيد على خصوصيته في ما يتعلق بفرنسا والفلاسفة الفرنسيين. وبالتالي، اعتبر نفسه "بربرياً" عن طيب خاطر. وقد سمح هذا الموقف له بالتميّز عن المفكرين الباريسيين، وتبني وجهة نظر خارجية مفيدة عندما يتعلق الأمر بانتقاد القوانين الفرنسية أو الموسوعيين.

فهل أثارت صياغته الجمل الجنيفية أو القرويـة الضحك في الصالونات الباريسية (كـان فولتير يهزأ من "فرنسيته الألوبروجية")؟ في الواقع، استخدم جان جاك روسو هذه العبارات ليضمن النقاء والأصالة. ففي مقدمة هيلواز الجديدة Nouvelle Héloïse في 1761،

أو مفكرًا أو عالماً أو فيلسوفًا، بل قرويًا أجنبيًا وحيـدًا". وتـساءل روسو في روايته الرسائلية الشهيرة "ماذا كنا لنكسب إن جعلنا سويسريًا يتحدث كالأكاديمي؟" بالتالي، أصبح الأصل الغريب الذي أظهره روسو، وصورة سويسرا الريفية

طلب من القارئ أن يغفر له "أخطاءه

اللغوية" لأن من يكتبها "ليس فرنسيًا

في نظر الفرنسيين، علامة اصطفاء في كتاباته. فوطنيته الجنيفية وحبه لسويسرا، وإن كانا حقيقيين بالتأكيد، جديران بالإبراز. واستفاد روسو من أصله الأجنبي أيضًا الذي سمح له بوضع صدقه القروي في مواجهة الحذلقة والصفائية والمعيار الباريسي وفي قسم آخر من عمله، أكـد روسـو على أهـّميـة الـدولـة في إنشاء شعور وطني قوي والحفاظ عليه. فتشكل هذه العقيدة، أو حتى "التصوف" الوطني، مفارقة مثيرة للاهتمام بالنسبة إلى هذا المفكر الذي لم يكن، في نهاية المطاف، من جنيف أو نوشاتيل، من سويسرا أو من فرنسا. وهو على أي حال خالف الانفتاح العالمي لقرن الأنوار.

في الختام، يمكننا القول إنّ روسـو من كـل مكـان ومـن لا مكـان! أوليس البعد المناسب لعقل يتفق الجميع على مدحه ووصفه بـ"الُعبقري

حكتور في التاريخ، جنيف

← سويسرا. حُرق كتاباه أيضا

في جنيف. لجأ إلى إيـفردون (Yverdon) ومن ثمّ إلى موتيي (Môtiers) في 10 تمّوز حيث

1763 : حصل على صفة

الشخص العادي في نوشاتل

(Neuchâtel) وتنازل عن حقّه

1764 : بـدأ الـجـزء الأول

مـن الاعـــــرافــات (Les

Confessions). نشر الرسائل

المكتوبة عن الجبل. طلب

بوتافوكو (Buttafoco) إلى روسـو إعــداد مـشـروع دسـتـور

لكورسيكا. نشر فولتير مقالة

مغفلة تتضمن نقدا لاذعا لروسو.

1765 : حرقت الرسائل المكتوبة

عن الجبل في هولندا وفي باريس.

وعشية 6 و 7 أيلول، رشق أهل

موتیي (Môtiers) شرفات

مقرّه بالحجارة. هرب إلى جزيرة

سان بیار (Saint-Pierre)، عند

بحيرة بيين (Bienne). استُبعد

من جدید بقرار من حکومة برن

1766 : ذهب إلى إنكلترا

بدعوة من الفيلسوف دافيد هوم

(David Hume)، فاستقرّ مع

تريز في شيشويك (Chiswick)

ومن ثمّ في ووتون (Wootton).

1767 : عاد إلى فرنسا وأقام

في تري (Trie) عند الأمير دو

کونتي (Prince de Conti)

باسم مستعار هو جان جوزف رونو (Jean-Joseph Renou).

1768 : أقام في ليون (Lyon)

وغـرونــوبــل (Grenoble)

وشامبري (Chambéry) حيث

ضریح السیّدة دو وارنـز (Mme

1768-1768: أقام في بورغوان

(Bourgoin). تزوّج من تريز.

1769 : أقام في مزرعة في

مونكان (Monquin). كتابة الجزء الثاني من الاعترافات (Les

1770 : عاد إلى باريس، شارع

بلاتريير(Plâtrière).ومنجديد زاول مهنة نسخ المقطوعات الموسيقيّة. جرت قراءات علانيّة

من كتابيه الاعترافات (Les

1771 : منع أي قراءة علانية

من كتابي الاعترافات (Les

Confessions). عمل على

تأليف كتابه اعتبارات بشأن

1773-1771: رسائل عن علم

1774 : ألَّف مجموعة دافنيه

وکلوی (Daphnis et Chloé).

1776 : محاولات يائسة للسماح

بوضع مخطوطه بعنوان "الحوار"

على مذبح نوتردام (-Notre

Dame). كتب النزهة الأولى

والنزهة الثانية من كتابه تخيلات

متجول وحید (Rêveries du

1777 : كتب خمس نزهات

1778 : كتب النزهات الثامنة

والتاسعة والعاشرة. سلَّم إلى

بول مولتو (Paul Moultou)

مخطوطات الاعترافات والحوارات.

دعاه مارکیز دو جیراردین (Marquis de Girardin)

للإقامة عنده فقبل استضافته.

مات على نحو مفاجئ في 2 تموز

عند الساعة 11 ودفن في جزيرة

1782 : نشر الاعترافات (Les

Confessions) و تخيّلات

متجوّل وحيد (Rêveries du

1794 : نقلت رفاته إلى

البانتيون، مدفن العظماء،

1801 : توفيت زوجته تريز

منسية ودفنت في بليسي-

بيلفيل (Plessis-Belleville) بيلفيل

في فرنسا.

(Panthéon) في باريس.

.(promeneur solitaire

الحور (Ile des Peupliers).

.(promeneur solitaire

صدور معجم الموسيقي.

.(de Warens

.(Confessoins

.(Confessions

حكومة بولندا.

قطع العلاقة مع هوم.

بدايات ولعه بعلم النبات.

في البورجوازيّة في جنيف.

وافته تريز.



# أمثولة روسو السياسية

غيوم شونوفيار

في الذكرى المئوية الثالثة لولادة جان جاك روسو، نلملم من طيات ذاكرتنا المواضيع العديدة التى عالجها هذا المؤلف المتعدد الوجه، غائصين في البعد السياسي. ففي زمن تشهد فيه الولايات

المتحدة شللاً في مؤسساتها جراء التفاوت الاجتماعي، يلقى فكر روسو السياسي صدىً مروعاً. إلا أنه بإمكان بلدان أخرى أن تستفيد من هذا الفكر أيضاً. فالمعيار الذي لجأ إليه روسو لتقييم المؤسسات السياسية ينطبق على كافة الدول من دون استثناء، وذلك بغض النظر عن شكلها وطبيعة المشاكل التي تواجهها.

ويمكن تلخيص هذا الفكر بشعار ثورة جنيف التي اندلعت في عام 1792 والتي تأثرت بالكامل بروسو: الحرية، والمساواة، والعدالة، علماً أن مفهوم العدالة يؤشّر إلى وجود فارق كبير بين ثورة جنيف والثورة الفرنسية، وهو استبدل حقوق الإنسان بحقوق الإنسان وواجباته الاجتماعية.

بشكل عام، يمكن القول إن معيار روسو غير مطابق لنموذج الديمقراطية الذي اعتدنا الاستناد إليه. فبالنسبة إلى روسو، تكمن شرعية الدولة في ممارسة الشعب الفعلية لسيادته وليس فقط في انتخاب الشعب للقضاة. على القوانين المطبّقة من الحكومة أن

تمثل إرادة الشعب كله، تلك "الإرادة العامة" التي غالباً ما يُساء فهمها. فالإرادة العامة

مـن الـفـقـر فيبيعون لنعد إلى الكلمات الثلاث من شعار ثورة جنيف عام 1792. الحرية هي "الحق الذي يمنح

السيادة"، وهو الحق الذي يمكنهم لا تنكشف بصورة تلقائية، وهي من أصعب ممارسات التفاهم البشري وأكثرها استغراقاً للوقت. وعلى عكس وجهة النظر النفعية التقليدية التي تبنيناها، فإن المصلحة المشتركة التي تبحث عنها الإرادة العامة ليست بمجموع القناعات الفردية، بل هي حماية الجميع لمصالح كل فرد، وذلك بإشراف الجميع. بمعنى آخر، المطلوب هو تحديد المصالح الأساسية التي يتوافق عليها جميع

کل فرد علی حدة. فلنأخذ على سبيل المثال دولة يشكّل فيها الأثرياء أقلية والفقراء أغلبية. إذا تحسّن وضع الأغنياء بشكل سريع وركد وضع الفقراء أو تقدّم ببطء، تتجه المصلحة العامة عندئذ نحو تحسن من وجهة النظر التقليدية. لكنها تتدهور من وجة نظر روسو، لأنه كلما قلت نسبة المساواة، عجز الأغنياء والفقراء عن إيجاد المصلحة المشتركة التي تجمعهم ليتخطّوا بذلك المصالح الخاصة التي تفرق بينهم. لذلك، لا يعتبر روسـو، وخلافاً

المواطنين بهدف ضمان مصلحة

للوك ونموذج المجتمع السائد

في أيامنا هذه، أن الملكية

مواطنين آخرين

أو مـواطـنـون

يــرزحــون تــحت

عـــبه کبیر

الخاصة تتمتع بحماية الدولة المطلقة، بل تبقى رهينة المصلحة العامة كما يتصوّرها المواطنون. أما مهمة الحكومة مجتمع حر ومتساو. فهي الحرص على "ألا يوجد قدمها هي خاصة بظروف ماض مواطنون أغنياء لدرجة شراء

القضايا التي تناولها لا تزال عالقة. لذكرها كاملة، لذلك سنكتفي

الوقت نفسه على خدمة مصالحهم

من خلاله ضبط عمل الحكومة بشكل فعال. أما المساواة، فهي إحداث توازن بين جميع أفراد المجتمع، وهي تضمن حرية الفرد واستقلاليته وتحقق المصلحة العامة التي من شأنها أن تربط ما بين المواطنين والدولة. أما العدالة فتتجلّى عندما يسعى العمل السياسي "إلى خدمة المصلحة العامة الكبرى من دون استثناء".

أن العنصرين يكملان بعضهما البعض. وحقوق المواطنين ويُعدّ مفهوم العدالة عنصرًا على ألا تعيق المنافع والفرص طريق هذا الحق. فالازدهار ليس بمبرر لتقويض الحرية. كان همّ إلحاق الضرر بغيره، نظرًا إلى أن هكذا مجتمعات تحث ذوي النوايا الحسنة أنفسهم على القيام بأعمال شريرة رغمًا عنهم.

المثالي. وقد ركّزت أفكّاره على الخطوات العملية اللازمة لإنشاء ومما لا شك فيه أن الأجوبة التي

هي قضايا لا تكفي بضعة أسطر

بضرب بضعة أمثلة.

إن فكر روسو السياسي مبني على فلسفة الحرية والالتزام، علماً

وواجباتهم وجهين لحرية واحدة. أساسيًا من عناصر هذه الفلسفة، روسو الجمع ما بين العدالة والفائدة من جهة، والحق والمصلحة من جهة أخـرى، وبـناء مجتمع لا يـرى فيه المواطن أنّ مصلحته تكمن في

روسـو ليـس مـن أتـبـاع الفكر

بعيد، إلا أن الأسئلة التي يطرحهاً لا تزال سارية المفعول نظراً إلى أن

بحسب روسو، تشكّل العلاقة بين النخبة والشعب إشكالية. وعلى من هم أكثر كفاءة من النخبة أن يتولوا مسؤولية الحكم. فعندما يصل هؤلاء إلى السلطة، يصبحون جزءاً من الإرادة العامة التي انتخبتهم، لكنهم ينكبون في

"إن فكر روسو السياسي مبنى على فلسفة الحرية والالتزام، علماً أن العنصرين يكملان بعضهما البعض."

يحمّلون الشعب عبء أخطائهم،

واحترام العادات والتقاليد. من هذا

الأخلاق، تلك التي تنبع من الدين.

في ذاتنا"، ومن الحكمة النابعة

من الطبيعة ودون حواجز"، ومن

"الشفقة" pitié التي هي "حراك

الطبيعة" . يصف روسو كتابه "أميل

أو التربية" بأنه "تأملات رؤيوية في

ماذا نقول اليوم حول الخلاف لدرجة

العداء بين فولتير Voltaire

وروسو. يتكلم فولتير في آخر أيام

حياته، وهو الذي كان يراهن على

العقل والتنوير عن الخجل honte

تجاه من هم في قمة القيادة. يقول:

"هل كانت الحال أفضل في الأيام

البربرية الماضية؟ أجيب أننا كنا في

حالة أسوأ. لكن اليوم حيث أناس هم

في قمة الحكم وهم أكثر علمًا مِمَّن

سبق فمن المخجل أن لا يتحسن

المجتمع بموازاة التنوير. أقول أن

التنوير اليوم ليس سوى مجرد فجر

الخاصة ومصالح النخبة. ووحدها الرقابة الشعبية الصارمة تمنعهم من تفضيل مصالحهم الخاصة على المصلحة العامة على المدى البعيد. أما المواطن فيميل إلى استغلال سيادته سعيأ وراء منافع مباشرة لا تخدم المصلحة العامة. بالتالي، تكونُ المؤسسات في حالة تـوازن غير مستقر تتطلب تعزيز الحس الوطني وتنشيطه بشكل مستمر."على المرء أن يختار بين الحرية والراحة." "يكفي أن يتساءل المواطن "ما همي" من

شؤون الدولة؟ حتى تضحى الدولة طي النسيان." "أقنعوا الشعب أن المصلحة العامة ليست حكر على أحد تكسبون الخضوع." بالنسبة إلى روسو، لا يمكن للشعب أن يرغب بإيذاء نفسه. إذا

أخطأ، يصحح خطأه. أما القادة الذين

فيواصلون اقتراف الأخطاء ما لم يخضعوا للرقابة الشعبية. للتمكن من فرض المصلحة العامة - التي وحدها تعطى المؤسسات الشرعية - لا يجب على هذه المصلحة أن تكون حصيلة تقييم عقلاني وحسب، بل يجب أن تنبع من حس قوى بالانتماء الوطني. لذا، من الضروري القيام بالمهرجانات الشعبية، وتأمين التعليم الرسمي،

المنطلق، ينصح روسو مواطني جنيف وبولونيا بالتصرف دائماً على طبيعتهم، حتى إذا ما غزتهم قوات أجنبية، تعجز عن استيعابهم! وقد ركز روسو في فكره السياسي على مسألة الانقسامات الدينية. بالنسبة إليه، لا تخلو السياسة من

ونظراً إلى الغياب المتبادَل للتسامح بين البروتستانت والكاثوليك، فقد دعا روسو الدولة إلى اعتماد

دين مدني يضمن احترام اللاهوت ويفرض الانفتاح المطلق على جميع العقائد الدينية، وكان هذا الدين المدني الذي طرحه روسو عرضة لانتقادات شديدة. ففيما رفضه الجنيفيون الثوريون، جعل منه الفرنسييون دينأ منافسأ للديانات التقليدية. ويـشـدّد روسـو على حاجة كل دولة إلى قاعدة أخلاقية اجتماعية قوية، يشكّل التسامح الديني جانبًا من أساسياتها. وخلافا للمعتقدات السائدة في

الغرب اليوم، الأخلاق الفردية ليست بديلا عن الأخلاق الاجتماعية. يـقـول روسـو: "مـن المرعب رؤيـة إلى أي مدى دفعنا هذا القرن المفكّر نحو احتقار واجبات الإنسان

الحاجة إلى تجديد السياسة

والمجتمع والأخلاق، وفضيلتَى

الوطنية والمساواة، والنضال ضد

الاستبداد، بما في ذلك استبداد

الكنائس، وأهمية التعليم أو

تـفوّق الإرادة العامة على الإرادة

تـمـكّـن روســو مــن أن يبـلغ

شأواً بعيداً في تنفيذ مبادئه

الجمهورية. فقد ذكر في العقد

الاجتماعي، مصير كورسيكا التي

كانت لا تـزال في ذلك الوقت

تحت وصاية مدينة "جنوة": "إنّ

القيم والمثابرة الذي استطاع هذا

الشعب الشجاع بفضلها استعادة

الفردية.

والمواطن". على أمل أن تتمكن هذه

الملاحظات من تحفيزكم أيها القراء على الغوص في فكر روسو السياسي، أنصحكم بالبدء بالرسالة السادسة من " Lettres écrites de la Montagne"،الكتابالذي يقدم تلخيصاً باهرًا لمنهج العقد الاجتماعي المطبق في جنيف. ثم اقــرأوا "les Considérations sur le gouvernement de Pologne"، ذاك الكتاب المنوّر. عندها فقط، اقرأوا " le Contrat Social " نفسه، و"l'Emile " إذا أمكن، فتجدون فيهما ما يكفى لتغذية أحدث تأملاتكم السياسية.

عالم اجتماعي وصحافي سويسري، محير سابق للتلفزيون السويسري، مؤلف كتاب "روسو، قصة من جنيف"

## عقدنا الاجتماعي اللبناني

وجه السلطات، والبسيط في وجه

المتنفذين، والإنسان الفاضل في

وجه أصحاب الدسائس والساذج في

وجه المخادعين، والثوري في وجه

انطوان مسرّھ

كان غالبًا إدراكي لدى قراءتي لمؤلفات جان جاك روسو في مرحلة البكالوريا أن روسو يستعيد مواضيع قديمة حول الملكية والمساواة والصلة الاجتماعية والتربية... وذلك بالرغم من فهمي لصوابيّة أفكاره وعمقها. أما اليوم فمؤلفات روســو مـواطـن مـديـنـة جنيـف تُسائلني وتُسائل كل إنسان ملتزم في هواجس المجتمع، أستخلص أربعة أسباب:

1. التطور التقني: يعتبر روسو أن تفاؤل عصر التنوير حول التطور، بخاصة في ما يتعلق بالتطور التقني، فيه مبالغة وتكاذب. لا يستتبع التطور التقنى بالضرورة تقدمًا إنسانيًا وأخلاقيًا. ما نعيشه أحيانًا اليوم هو بربرية بثياب عصرية. تُغرقنا هذه البربرية في سفسطة سجالية حول بديهيات الدولة وتبرير المجازر بترسانة أسباب ومصالح جيوستراتيجية وتعمل على تسخيف الإجرام وشهداء الحرية والعمليات الحربية الإرهابية والعدالة الدولية.

عندما اطلّع جان جاك روسو على موضوع مباراة أكاديمية ديجون Académie de Dijon لجائزة الأخلاق سنة 1750 انتابته رؤية صاعقة. يقول: "في لحظة قراءتي الموضوع شاهدت عالمًا جديدًا وتحولت الى إنسان آخـر". كان موضوع المباراة: "هل يساهم تطور العلوم والفنون في تهذيب الأخـــلاق؟" بعـد روســو بـسنـوات كتب الفيلسوف الفرنسي Henri Bergson: "في جسم بالغ التطور نشعر بالحاجة الى دفق من الروح". أما اليوم فيقتضي ممارسة جهود مضنية في أوساط مسماة أكاديمية للاقناع أن التطور التكنولوجي لا يستتبعه تطور إنساني. ومن يـشكّـك فـي التـقـدم ويـتـهـم بـأنَّ مقاربته غير علمية. والأسوأ من ذلك التهميش الذي يحصل في ما كان يسمّى بالإنسانيات Humanités في غالبية البرامج المدرسية

2. أي "عقد اجتماعي"؟ يعيش

في كتاب روسو يرد مفهوم "الحق الإنسان في زمن روسو وإنسان السياسي" Droit politique. اليوم في وضع طبيعي غريزي في حال عدم توفر عقد اجتماعي القاعدة الحقوقية هي التي تدّجن بين شركاء في الإنسانية. العنوان السياسة والا تقتصر السياسة على توازن قوى وعلاقات سلطة ونفوذ. الكامل لكتاب روسو هو التالي: "العقد الاجتماعي أو مبادئ الحق نعيش اليوم اختزال السياسة politique/polis في مفهوم السياسي" (1762). ليست العصرنة أرسطو بالمماحكة والمشاكسة. وفي الحالات القصوى العولمة آلة نصح خبراء في التسويق السياسي تجانسية تجعل الناس متشابهين، أحد المرشحين الكبار في الانتخابات بل على العكس تنمي العصرنة الرئاسية الفرنسية بما يلي: "إذا لم الهويات الفردية والجماعية وتُبرر نغيّر فنحن سنصطدم بالحائط! في أن الحاجة الى مزيد من التضامن يجب أن تكون أكثر قساوة وصلابة والصلة الاجتماعية. يصف -Roger في لهجتك وان تسحق"2. Pol Droit روسـو بأنـه "أيـقـونـة 3. حرية ومساواة... دون أخوَّة: العصرنة (...) والرجل الوحيد في

يطرح روسو المعضلة الأساس اليوم وهي معضلة المساواة وإيديولوجية المساواة والنضال في سبيل المساواة وعدم التمييز والهاجس

**DUCONTRAT** SOCIAL, o v PRINCIPES DU DROIT POLITIQUE. Par J. J. ROUSSEAU, Citoyen de Geneve. Dicamus leges. Edition Sans Cartens, à laquelle on a ajoûte une Leure de l'Auteur au seul. Ami qui lui reste dans le monde. 爱糕爱 A AMSTERDAM, Cher MARC - MICHEL REY, M. DCC. LXXIL 6°Z 10380 (21)

القانوني المحض في تحقيق المساواة. الحرية والمساواة هما في أفضل الحالات متعارضتان اذ كلَّما تحقق تكافؤ الفرص في إطار الحرية كلما جهد البعض لتطوير قدراته وانجازاته في حين ان آخرين يفضلون التكاسل والانصراف الى شؤون ليس بالضرورة تنافسية. لا يستطيع اي نظام ديمقراطي تحقيق كامل المساواة في الاوضاع. يتم تصحيح التعارض وفي افضل الأوضاع الديمقراطية بين الحرية والمساواة من خلال الأخوَّة وهو المبدأ الأكثر تهميشًا في مسار حقوق الإنسان. عنوان كتاب روسو: "جذور وركائز عدم المساواة بين الناس". يقتضي قراءة اكتاب وكأنه صدر بالأمس. وظل روسو

طيلة حياته الى جانب الصغار

على عقب وكل مفهوم التربية

علاقة. كررنا عبارة: "الإنسان طيب

في طبيعته والمجتمع يفسده".

والجامعة تجاه التلوث المضاعف

اليوم من خلال وسائل التواصل

الاجتماعي التي تفرقنا يوميًا في

المعلومات والأكاذيب والمخادعات؟

ليس روسو مثقفًا بالمعنى

المتداول. بعد أن عايشت خلال

حياتي المهنية أناسًا عديدين

والتنزمت في المجتمع الأهلي

وجدت ان مثقفین کثیرین یهمهم

الارتقاء الاجتماعي أكثر من خدمة

المجتمع. أنتفضُ عندما يدعوني

أحدهم مثقفًا كما لو أن هذا الوصف

هو إهانة لاني أفضل أن أمارس

الثقافة بالمعنى الأصلي الأجنبي

للعبارة culture التي تعني في آن

الزراعة والحصاد. لم تكن سلوكيات

الانتلجنسيا في عهد روسو تروق له

لأنه يعتبر من الضرورة الانطلاق من

القلب ومن المنحى الإنساني وليس

العقلاني، ومن الشعور الذي هو

مصدر إبداع، ومن "صوت الضمير

الذي هو السبيل النقى الذي ندركه

والمتواضعين والمهمشين. 4. لنعود الى علم التربية: يقلب

الحاجة اليوم الي استعادة روسـو مـواطـن جنيـف "ومـواطـن روسو المفاهيم الفلسفية رأسًا المستقبل"4 من خلال العمل بتصميم في سبيل حضارة pédagogie التي هي في جوهرها الحضارة وانسنة العلوم المسماة إنسانية والتي تحولت غالبًا الي علوم اجتماعية ذات منحى كمى هل فكرنا عمليًا بهذا القول لروسو محض، واستعادة أديان تحولت في سبيل مضاعفة مناعة أولادنا وشبابنا في العائلة والمدرسة الى ايديولوجيات الى روحانيتها، وعودة التربية الى أصولها التربوية التي تختزل غالبًا في تقنيات مع تراجع العلاقة التربوية، والعودة الى كما في حلبات مصارعة.

السياسة التي تحولت الى مشاكسة قىدنستعيد عندئذ عقدنا الاجتماعي في فجر قرن واحد وعشريـن أكثر إنسانيـة. بـرابـرة القرن الواحد والعشريـن هـم... علماء! ان تفجير هيروشيما، والحربين العالميتين وتفجير 11 أيلول 2001، والحروب بالوكالة، والحروب المتعددة الجنسيات في لبنان، وكل أشكال التلاعب بعقدنا اللبناني أي بالميثاقية اللبنانية تبين ذلك. نحن بحاجة الى أنسنة الحضارة، الى تحضير الحضارة.

عضو المجلس الدستوري. استاذ في جامعة القديس يوسف. جائزة الرئيس الياس الهراوي: لبنان الميثاق، 2007.

## معلم كبير صاحب فكر سياسي

ومشاريع الدساتير التى نصّها لكورسيكا وبولندا، لهب الثورة الفرنسية على حدٍ سواء، حتى أنّ الولايات المتحدة محينة له

لوك دبران

كيفية الحفاظ عليها". في الواقع، طلب ماثيو بوتافوقو الأرستقراطي الكورسيكي، من روسـو في العـام 1764، كـتابـة مسودة دستور خاصة بالجزيرة. وبعد كتابة بعض الرسائل فحسب، تمكّن الجنيفي من وضع الخطوط العريضة "لخطة النظام السياسي"، إلا أنّ هذه الكلمات بقيت حبرًا على ورق مع ضم كورسيكا إلى فرنسا. وفي العام 1771، طلبت بولندا بدورها وبسبب تهديد روسيا إليها، مسودة دستور من الفيلسوف الجنيفي. لكن تقسيم البلد

يبقى روسو "مخترع الآلـة" السياسية التي مارست سلطتها حتى في الولايات المتحدة. فتشاطر توماس جيفرسون، وهو الكاتب الرئيس لـ "إعلان الاستقلال" عام 1776، مبادئ روسو حول العقد الاجتماعي إلى حدّ بعيد، بالإضافة إلى تـصوّر مواطن مثالي يُنظر إليه

مقال في النشرة الاستثنائية المخصصة إلى جان جاك روسو (2012)، تمّ نشره في المجلة السويسرية L'Hebdo

يعلُّم رجل حكيم إلى الشعب

عطِّل التأملات في حكومة بولندا Considérations sur le gouvernement de .Pologne

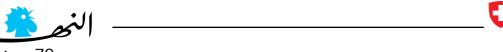
على أنه عامل بسيط، مكتفٍ ذاتياً، وفاضل يعمل لما فيه خير

أشعلت كلّ من أفكار روسو الجمهورية بالفضل أيضا.

حريته والدفاع عنها، جديرة بأن

كتب روسو في العقد الاجتماعي "إننى الميكانيكي الذي يخترع الآلة" ، أي بعبارةٍ أخرى، الفيلسوف هو الذي يعطي هذا الدفع ولكن يبقى على الآخرين أن يجسدوا أفكاره بطريقةٍ ملموسة، لا سيما في إنشاء هيئة سياسية تحترم سيادة الشعب في المقام الأول. وإنّ هذا الفعل "بالقوّة" بحسب مصطلح أرسطو، تجسّد وأصبح "بالفعل" مرّات عدة، بدءًا بالثورة الفرنسية التي ارتكزت مبادئها الجمهورية إلى حدٍّ كبير على كتاب العقد الإجتماعي Du contrat social، لکن أيضًا على كتابي إميل Emile وهيلوييز الجديدة la nouvelle Héloïse . وفي الواقع، يقوم هذا التأثير الذى أثار النقاش لفترة قرنين من الزمن، على مواضيع جوهرية خاصة بروسو، بما فيها

300 سنة على جان-جاك روسو 300 سنة على جان-جاك روسو



مستهلّ الكتاب : "أريد أن أبحث، في النظام المدني، عن قاعدة قد تكون موجودة للإدارة الشرعيّة والأكيدة، آخذا الإنسان على ما هو عليه



### أُ**بِرِزُ أَعْمَالُهُ** مارتن رويف(جامعة جنيف) وإيزابيل فالكونييه

الخميس 28 حزيران 2012 | 2012 Jeudi 28 Juin 2012

### مقالة عن العلوم والفنون (1751)

مستهلّ المقالة : "عظيم وجميل مشهد الإنسان الخارج بشكل أو بآخر من العدم بجهوده الخاصة، مزيلا، بإشعاع المعرفة، غياهب الظلمة التي غلفته بها الطبيعة (...)"

مقالة عن جذور عدم المساواة وأسسها بين الناس (1755)

مستهلّ المقالة: "عن الإنسان يجب أن أتكلّم، وأتكلّم إلى الإنسان انطلاقا ممّا أنظر فيه وأشاهده؛ فلا نقترح للإنسان مثيلا على الإطلاق عندما نخشي

كرر روسو هذا القول مرارا: فالغضب "تملكه بدلا من أبولون (Apollon)". يجب قراءة المقالة عن العلوم والفنون على أنها التعبير الأوّل عن هذا الغضب الذي أخبر روسو عن نشأته. ففي طریقه لزیارة دیدورو (Diderot) المسجون في فينسين (Vincennes)، وقع على موضوع المسابقة التي تعدّها أكاديميّة ديجون (Dijon) – هل أنّ إصلاح

احترام الحقيقة (...)."

المقالة الأولى كانت صرخة.

والمقالة الثانية امتداداً للأولى

وتصديق لضرورتها. قرّر روسو

كتابة هذه المقالة للردّ على

الموضوع الذى أثارته أكاديمية

ديجون (Dijon): "ما هي جذور

عدم المساواة بين الناس؟ وهل

تسمح قواعد الطبيعة بعدم

المساواة؟" فهو في ما كتبه

يروي مكاية تاريخ الإنسان

ورفض الملكية، يستهلها

بتساؤل متداخل مـزدوج – إذا

كانت المساواة طبيعية، فما هي

طبيعة الإنسان، وإذا تحدّدت

طبيعة الإنسان، كيف السبيل إلى

التعرّف إليها؟ كيف السبيل إلى

التمييز بين ما هو "طبيعي" وما هو

"اصطناعي" في دستور الحياة.

فالرمزية في تمثال غلوكوس

(Glaucus) المطمور في أعماق المياه تعلّمنا أنّـه لا جـدوي في

الاستناد إلى الوجوه البشرية

الآداب؟: "أعيش في هذه اللحظة عالما آخر وأصبح إنسانا آخر." ويكتب روسو مقالة راقية مخاطبا فيها فابريسيوس (Fabricius)، القنصل الروماني الذي حمل على الانحطاط. والمقالة امتداد لهذا الاندفاع. أمّا البلاغة في المقالة عن العلُّوم والفنون فلا تغطّي البرهان الدقيق أو تحجبه. روسو يتساءل عما للعلوم والفنون من

التي تطالع أنظارنا لأنّها وجوه

من صنع التاريخ، ولا سبيل لإزالة

القشور للكشف عن السمات التي

تحملها. لا يبقى إذا سوى حلّين:

زيادة وجوه الإنسان (وهو حلُّ

يتعلّق بالعراقة البشرية) وصقل

الوجوه بالخيال (وهو حل فلسفي

ورواية علماء الفيزياء نموذج عنه).

باحتقار للخطيئة الأصلية، يبتكر

روسو رواية جديدة عن الطبيعة

الإنسانية مصورا إياها انسلاخا عن الطبيعة الحيوانية. فما يفرق

الإنسان هو توقه وقابليّته لبلوغ

الكمال. هذه الميزة التي تسمح

للإنسان من تحقيق ما يصبو إليه.

وعظمة المقالة الثانية تكمن أيضا

(بشكل خاص) في رفض الملكيّة

وتطرح موضوع القسم الثاني

المخصص لتاريخ المجتمع: "أوّل

من يقول: هذا ملكي أنا يحوّل

الواقع إلى حق. التملك انتزاع

العلوم والفنون قد ساهم في تنقية

الحياة يكفل حياة أقلٌ تشرذما؟ حدث مفاجئ وضربة مؤلمة – مؤلَّفُو الموسوعات لا يـودُّون التنكر لهذه المعادلة، أما روسو فينقضها. ويتوقع المعارضة التي ستحرّك كل نظام حياته: القائمة

آثار سياسية أكثر مما يتساءل

عن قيمتها بحد ذاتها. فهل أن

عزة النفس تصنّف الأشياء في لعبة تطوّرها يؤدّي بالضرورة إلى تطوّر المرآة حيث تضيع الرغبة وتختلط الحرية؟ وهل أنّ تحسّن ظروف مع شبيهاتها. ولكن من يصنّف صورته في مرآة الآخر ويتبع هذا التصنيف يصل إلى الهلاك. للرأي والصور قدرة هدّامة، وروسو الذي يعير اهتماما كبيرا لقدرة العلوم والفنون يبيّن أن الثقافة محرقة خطيرة لعزّة النفس. على حب الـذات وعـزة النفس.

DISCOURS

SUR L'ORIGINE ET LES FONDEMENS

DE L'INEGALITE PARMI LES HOMMES.

Far JEAN JAQUES ROUSSEAU

CITOTEN DE GENÈVE.

Non in depravatis, fed in his que bene fecundum naturam fe habent, confiderandum est quid sit na-turale. Anistor. Politic. L. 2.

A AMSTERDAM,

Chez MARC MICHEL REY.

M D C C L V.

JULIE,

OU LA

NOUVELLE HELOISE.

LETTRES

DEUX AMANS,

HABITANS

D'UNE PETITE VILLE AU PIED DES ALPES.

RECUBILLIES ET PUBLIÉES

J. J. ROUSSEAU,

Nouvelle Édition originale, revue & corrigée par l'Éditeur

TOME SECOND.

LONDRES.

M. DCC. LXXIV.

الإحساس بالطبيعة الذي يبثّ

الحياة في بعض الصفحات فيقطع

الأنفاس – البعد البناء في الرواية

أساسي. لكن الأهم ليس ههنا.

الأهم أن روسو يخلق الحب من

فحب الذات يدفع بكل إنسان إلى

المحافظة على نفسه في حين أن

حديثة وبكثير من التآمر لدرجة مُنع الكتاب وتعثر فهمه كما يجب في غالب الأحيان. فالعقد الذي يؤكّد على مبدأ سيادة الشعوب قد فرض نفسه كأحد النصوص الأكثر أهمية في مجال الفلسفة السياسيّة. عرضة للإهمال: ابتكار سياسة للحرية

العقد الاجتماعي (1762)

والقوانين على ما يمكن أن تكون ( ...)"

**ما** هي أسس المجتمع العادل؟ إن

كانت الأمور، بحسب ما يؤكّد روسو،

"ترتبط أصلا بالسياسة" كيف

السبيل إلى تحرير السياسة من أجل

تحرير الإنسان؟ العقد الاجتماعي

يـردّ على هـذه الأسئلة بطريقة

الاجتماعية "العادلة" تستند إلى ميثاق يكفل المساواة والحرية بين جميع المواطنين ويحتوي على أكثر الابتكارات إثارة للعجب في سياسة روسو التي ينادي بها العديد من الناس. إنّه بدون شك مفهوم "الإرادة العامّة" المثير للمزيد من العجب والمتضمّن للكثير من التفسيرات الخاطئة. وهو في الواقع يعرض صيغة للحرّية ليست على الإطلاق

وهو يـشدّد على أن المنظّمة

يعنى الطلب إلى الفرد أن يتخطّى دائرة الـ "أنا" (أي دائرة المصلحة الفردية)، ودائرة الـ "أنت" (أي دائرة العلاقات العاطفيّة والتعلّق)، وأيضا دائرة الـ "نحن" (أي دائرة الجماعة): وابتكار دائـرة "كـل شخص". هذه السياسة لا تضمّي بالفرد للجميع من أجل السياسة إنما العكس صحيح فهي أداة للتحرر بإرسال كل فرد إلى الجميع. كيف السبيل للتفلُّت من فكرة سياسيّة محددة بمفهوم جامع تذوب فيه الفردية فيما تتعزز قيمة

الفرد إلى ما لا حـدود، فـرد كامل يحمل في ذاته الشمولية؟ إضافة إلى هذه المعضلات، كيف السبيل للتعامل مع السياسة في منظور حكومة تكون ساهرة على كل فرد بذاته؟ برنامج من هذا النوع مزدوج: يـهـدف إلـي إزالــة الشـموليـة التـي تتنكّر للفردية بعملية تراعى العلاقة بين المفهومين؛ ينشد النهوض بسياسة تكون قادرة على تولي زمام الشؤون المتعلّقة بهذه الفرادة والاهتمام بها.

### إميل أو عن التربية (1762)

مستهلّ الكتاب: "كل ما يخرج من بين يدي صانع الأشياء جيد. وكل ما يوضع بين يدي الإنسان يفسد (…)"

بحسب ما قال روسو "هـذا الكتاب الذي قرأه كثيرون واستمع إلى ما جاء فيه قليلون ولم يحظ بما يستحق من التقدير ليس أكثر من بحث عن طيبة الإنسان الأصليّة يهدف إلى إظهار كيف أنّ العيب والخطأ الغريبين عن دستور حياته دخلاء إليه من الخارج فيفسدانه من غير أن يشعر بذلك. يجب أيضا التحفظ عن قراءة كتاب

إميل كمجرد بحث تربوي ومحاولة

فهم السبب الذي دفع بروسو في كتابته عن علم الإنسان إلى اعتماده في بحثه التربوي نزعة ثورية: بالنسبة إلى روسو يوصف الإنسان باستشراف أبعاده وإنماء أصوله، في فرادة خاصة تختار روايـة الطبيعة الإنسانيةكمشروع فلسفي. العبقرية في كتاب إميل: نشهد ولادة إنسان يسير على نهج الطبيعة الإنسانية، لأن السبيل الوحيد لتتبّع نموّه على

نحو منتظم يكمن في النظام الذي يعبّر عنه في تسلسل أحداث الرواية. هـذه الطريـقـة فـرديــة للغـايـة ولا يستبعد أن تكون هذه الفردية قد حالت أحيانا دون معرفة نهج روسو الفلسفي على الرغم من الاضطلاع على مشروع فلسفته ومفاهيمها ونظامها. هذه الرواية نظام للحرية. والمحور الذي تدور حوله قصّة إميل يرتكز على أن الولد الصغير، بحسب

الكتب الخمسة التي أتت بعد فترة نموه، كان حرابقدر مايسمح له عمره من الحرية إلى حين لقائه بصوفي، الحب الـذي كـان التجربـة الأقسى لحبّه للذات والـذي كـان ليـودي به إلى الخبل. لهذا السبب فإن الكتابين الأولين مبتكران بقدر ما هما مثيران: فروسو لا يكتفي بإدخال حديثي الولادة والأطفال الصغار في فلسفته، إنمايبتكر لهم فلسفة للحرية.

### روسو یحکم علی جان جاك روسو (1772-1776)

مستهلّ الكتاب : "يا لروعة ما أتعلمه للتو من أمور! لا أصدق، لا ولن أصدق أبدا! غريب! يا له من رجل مقيت! وكم سبّب لي من الألم! وكم سأكرهه! (…)"

عمل برّر به نفسه وجاء بمثابة

الضوء الذي أنار السكون بعد قراءة الاعترافات، هذه الحوارات تستجيب لآلية مدهشة بذاتها. شخصيّة يشار إليها فقط بحرف "ر" تتشاور من محاور يسمى "الفرنسي" عن شخص ثالث غائب: هذا المدعو جان جاك الذي يجب "محاكمته". بعيدا عن علم النفس المرضي، يقصد بهذه الحوارات انتشال روسو من وراء الأقنعة التى تغلفها الأفكار بوشاحها

يتعلق بجعل الناس تشعر بجان جاك وتفهم ما يكتبه. مهمّتان توزّعتهما الشخصيّتان: الفرنسي يقرأ العمل و "ر" يتوجّه إلى جان جاك مستطلعا رأيه. لأنه في مجتمع تحكمه عزة النفس وقبضة الرأي، شوّهت مؤامرة كبرى صورة الشخص بقدر ما شوهت

فلا يعود بالإمكان التعرف إليه. الأمر

اعتبرت الحورات لفترة طويلة عملا ما يشوّه شخصنا؟ تسبق الحوارات لمجنون والمعروف أن ميشال فوكو

(Michel Foucault) کان اُوّل من حارب هذه القراءة في مقدمة لاهبة كتبها عام 1962 في الذكري الـ 025 لولادة روسو. نميل اليوم إلى قراءة هذا العمل ليس ككتاب مفضّل عن شخص مصاب بالفصام، مزدوج الشخصية، تائه في الازدواجية، إنما كتحليل دقيق في عدوى الأفكار. ماذا نصبح عندما يستولى الآخر على صورتنا ويشوّه أعمالنا بقدر

ارتباط فن الجمال وفن اللغة وعلم

الانسان في الفكرة لإعطاء سياسة

فعلية خاصة باللغة. "إنّها مادّة بحث

فلسفى بالفعل يعمد إلى النظر في

الثلاث توطئة بعنوان موضوع وشكل ما كتب يليها ملحق بعنوان قصة ما سبق أن كتب يدعو فيه "كل فرنسي ما زال يحب العدالة والحقيقة" إلى تداول هذا الكتاب. تضمّ الحورات صفحات تفيض بالوضوح عن المسيرة الفلسفيّة

لروسو - ونجد، إضافة إلى تصوير عن "العالم المثالي" سردا للإحساس المرهف عندما قطع روسو علاقته نهائيًا بمعتنقي المذهب التجريبي.

### بحث في أصول اللغات (1781) مستهل البحث: "النطق يميز الإنسان عن الحيوان: النطق يميز بين الأمم؛ الإنسان يُعرف أصله من كلامه. ( ...)" رسالة إلى دالامبير (d'Alembert) عن المشاهد (1758)

مستهل الرسالة: "حضرة السيد، لقد قرأت بسرور مقالتكم بعنوان جنيف في المجلّد السابع من الموسوعة. وأعدت قراءة المقالة بمزيد من السرور فأثارت فيّ بعض الأفكار (...)"

> الرسالة إلى دالامبير (Alembert) تـردّ مـن حيث تحديدها على مقالة جنيف في الموسوعة التي يعزّز فيها دالامبير فكرة مشروع إقــامــة "مــسـرح كــومـيــديــا فـي هذه المدينة". ولكنّ مضمونها يتخطِّي إلى حد كبير الظرف الآني ويشهد على ذلك نجاحه في تضارب المشاهد ومواكبته للمجريات الحالية فيها. روسو يبدأ مقالته بالمدافعة عن كهنة جنيف الذين يهاجمهم دالامبير بغرض حماية حرّية الضمير لديهم. ويتطرّق إلى المسرح الذي

الدراما تكون الشخصيّة عالية يتناوله أوّلا كمكوّن في ذاته ومن ثمّ كمؤسّسة إجتماعية. في ذاته فشل المسرح في تصويب الآداب: قوامه الإرضاء للمحافظة على عزة النفس. وروسو الذي يعتبر الشفقة مفتاحا للتكيف مع الحياة الاجتماعية في كتابه إميل يدعو إلى تجسيد الأمر في المشاهد ويدين التنميق المسرحي. يفهم هـذا الحديث بمدلوله الصحيح في إطار دراسته السياسيّة لعلم الإنسان. المسرح لا يتيح للإنسان أن يتعرّف إلى نظيره في الشخصيّة المؤداة على خشبة المسرح. في

طريق والد جولي (۱). أجبر سان

برو على الابتعاد عن باريس (١١).

ولكن ينكشف أمر الرسائل التي

يتبادلها الحبيبان. تموت والدتها

وتجبر جولي على الزواج من السيّد

دو ولمار (III) (de Wolmar)

الذي يقترح على جولي أن يعود

سان برو ليعيش في مجتمع أوسع

نطاقا. وصف سان برو اقتصاد هذاً

المجتمع ( Vاو V). اعتقد ولمار أن

الجسد قادر على أن يشفي الغليل

فيستغنى عن الصور والأوهام

وجنون الشغف. ولكنّ الحب أقوى

وتموت جولي (VI). إنَّها مأساة

الحب المستحيل. يجب قراءة إلوييز

كسلسلة من الأناشيد. والأشخاص

الآخرون أبطال الروايـة أصحاب

عزم وتصميم (كلير، قريبة جولي

التي لا تفارقها، وإدوار، صديق

سان بـرو)؛ كـلارزن (Clarens)

نموذج جدير بالدراسة؛ الرسائل

عن باريس، عن الموسيقي، عن

الانتحار تعبير عن الشجاعة أمّا

جولي أو إيلوييز الجديدة (1761)

مستهلّ الكتاب "عليك بالهروب، أيّتها الآنسة، هذا هو إحساسي

بالكامل: كان علي الانتظار لوقَّت أقل؛ أو بالحري كان الأجدَّى ألا أراكُ

أبدا. ولكن ما العمل اليوم؟ وكيف لي أن أتصرّف؟

مع جولي أو إيلوييز الجديدة، يـوقَع روسـو أحـد أجمل ما كتب

في الأدب من القصص الرومنسيّة

عن الحب. والنجاح الكبير الذي

حققه يبيّن أنّ روسو عرف كيف

يعطي هيئة للإحساس النابع من

الداخل. فهو يغوص في قصة

حياته الشخصية وفي تصوير

الحب المستحيل الذي بفصله إيلوييز عن أبيلار يجمع بينهما.

يؤلّف رواية عبارة عن رسائل تعجّ

بقوة ورقَّة لا مثيل لهما. يصوّر في

هذه الروايـة تـجدّده بكل وضوح

وتبصّر: فالرواية في القرن الثامن

عشر تحبّذ قصص أشخاص

عاديين يتعرّضون لأحداث نادرة؛

أمّا هو فكتب روايـة عن أشخاص

نادرين عاشوا حالة عادية من

الغرام. معلّم شاب، سان برو، يغرم

بجولي ديتانج. تنشأ بينهما علاقة

حبّ عادية أي قائمة على حب

الـذات وليس على عـزة النفس.

لكنّ المجتمع يـفرّق بينهما عن

جـدا أمـا فـي الكوميـديـا فتكون منخفضة جدا. روسو يعطي تحليلا جميلا لبيرينيس (Berenice) ولميزانتروب (Misanthrope). هو مولع براسین (Racine) ومولییر (Molière) ولكن راسين لم يصب هدفه وعلى موليير أن يضحك رواد المسرح. والمسرح كمؤسّسة إجتماعية هو ثمرة حياة الترف ولا يتناسب مع جمهوريّة قائمة على الفضائل. فالرهان سياسي: الحريـة والمساواة يتطلبان زهدا. وينهي روسو رسالته بالثتاء على الآداب في

جنيف: فهو، في بعض الصفحات التي عرفت رواجا يـقابـل بين المشهد المسرحي وبين المناسبة الاحتفالية التي يُـهـدف فيها إلى إزالـة أوجـه الفصل – "أعطوا للمشاهدين ما في المشهد واجعلوا الممثلين هم أنفسهم." فلنقرأ هذه الرسالة على أنها ممارسة للفلسفة القائمة على العقل التي طبّقها روسو الحريص على تاريخ جنيف، أو فلنعتبرها نصا ينحو بسياسة العقد الاجتماعي إلى الفن الجمالي؛ فالرسالة إلى دالامبير تصف بحزم سياسة الجمال وجمال السياسة.

اللغات والموسيقي تحت العنوان الكامل بحث عن أصول اللغات يتناول أصول النغمات والاتساق الموسيقي، استهله في عام 1754 وطوره في عام 1755 ولكنه لم يكتمل إلا في نهاية عام 1760 ونشر بعد وفاته في عام 1781. روسو لا يكتفي باتخاذ موقف في موضوع لم يلق حتى اليوم تجاوبا ألا وهو كيف نشأ الكلام؟ إنما يضع

فريب مصير هـذا البحث عن

مر عليها الزمن. فالذات البشرية تتكلم كذات مفعمة بالمشاعر وليس تعبيرا عن حاجاتها. فالحاجات تفرّق أما المشاعر فتجمع. جغرافية سياسية تضم وهم اللغات. والاتساق الموسيقي.

الشمال في مقابل الجنوب والكتابة في مقابل الكلمة. في هذا البحث يعرض روسو أيضا مفهومه للحن وهكذا، نادر في تاريخ الفكر

فكرة مميزة حقا عن المواضيع التي

الوقائع ومن خلال الأمثلة إظهار مدى تأثير طابع الشعب وعاداته واهتماماته في اللغة": هكذا أنهى الفصل الأخير من البحث عن أصول اللغة الذي أجراه جان جاك روسو. وهذه السطور الأخيرة اقتبسها روسو من الملاحظات في القواعد

العامة والقواعد الأخلاقية لدوكلو (Duclos). هذا الفصل عنوانه "العلاقة بين اللغات والحكومات" يقابل فيه بين السياسة القديمة ومظاهرها ومظاهر السياسة الحديثة. الأمر لا يتعلق بسياسة اللغة فحسب إنما يتعلق باستيعاب أنّ النطق يعني الانخراط في علاقات اجتماعية: وأكثر من ذلك إعطاء العلاقات الاجتماعية شكلا

### تخيّلات متجوّل وحيد (1782)

مستهلّ الكتاب: "هأنذا وحيد في الأرض من دون أخ ولا قريب ولا صديق ولا مجتمع ولا أحد سوى نفسي. فهذا الإنسان الأكثر اختلاطا بالناس والأكثر حبا للناس أبعد باتفاق من الجميع (…)"

> **هذا** النص المقتضب غيّر قصّة الأدب وقصّة الإحساس بشكل عام. فللعنوان بحد ذاته مدلول كبير: الخيال، انفصال عن الفكر؛ والنزهة، انفصال عن الجسد؛ والوحدة، انفصال عن الناس. نصّ يعبّر عن الابتعاد والتجرّد. فكتاب التخيلات هو قصيدة الختام. قلّما نعيش في القراءة نصا أكثر تأثيرا منه وأكثر تحررا وأكثر تعبيرا في العمق عن أبعاد شخصيّة. روسو يخبر فيه

عن علاقته بالناس والطبيعة

ويغوص إلى علاقته مع ذاته – مع الذي كان ومن آل إليه. بعضهم أراد أن تكون فلسفة التخيّلات فلسفة أخيرة لروسو تـفسخ أي رابط مع فلسفته السابقة في حين أراد منها آخرون أن تكون تكملة لها وانتقالا بها إلى أوجّها لإنهائها. كلّ هذه التخيّلات معروفة وتحتوى على صفحات لا مجال لنسيانها ويمكن إلقاؤها قصائد: سقوط مینیلمونتان

الثانية، والبحث عن فلسفة لنفسه في الثالثة، المخصصة للحديث عن السعادة التي شعر بها في الأيّام التي قضاها على جزيرة سان بيار. والنزهة السادسة تتناول عراقيل المجتمع المدني انطلاقا من ذكر شحاذ فقير في حين أنّ السابعة تتناول علم النبات. أما الثامنة فتعود إلى العلاقة بين شر الناس والوحدة المستحبّة. في النزهة التاسعة يعود روسو ليتناول

بحسرة وألم مسألة هجره لأطفاله. (Menilmontant) في النزهة أمّا العاشرة والأخيرة فلم تكتمل. الكتاب أغنية وداع مؤثر وأيضا عـودة إلـي الـجـذور: "الـيـوم، يـوم الفصح المزهر، يصادف مرور 50 سنة تحديدا على لقائي السيّدة وارنــز للمرة الأولــي. كانـت في الثامنة والعشرين من عمرها(...) ولم أكن بعد قد بلغت السابعة عشر ولم تكن ملامح شخصيّتي قد اكتملت(...) فأعطت دفئا جديدا لقلب يزخر بطبيعته بالحياة."

على التفكير، الاعترافات صرح

الكتابة عن الـذات. لكن التعبير

يقتضى إعادة التفكير فيه: من هو

الذات المعنية بالحب ومن يقول أنا

ههنا؟ يمكن مطابقة الاعترافات

### الاعترافات (1782 – 1789)

مستهل الكتاب "أعدّ مشروعا لا مثيل له على الإطلاق ولا شيء يضاهيه في التنفيذ. أريد أن أبيّن لأمثالي رجلا على طبيعته بكل مكوناتها الحقيقية، وهذا الرجل سيكون أنا (...)".

تتناول في 12 كتابا السنوات 53 "أعدّ مشروعالا مثيل له على الإطلاق مع السيدة وارنـز، والتغزل في لي

ولا شيء يضاهيه في التنفيذ: يهمّ فابريسيوس (Fabricius) في الكلام فيقف رجل ليقول الحقيقة عن نفسه. فإن كانت هذه الحقيقة مهمّة فلأنّ للإنسان المعني الحق في أن يقدّم نفسه نموذجا لإنسان عرف كيف يمتثل لمقتضيات حبّ الـذات من دون أن تستحوذ عليه عدوى عزة النفس. يمكن

إذا قراءة الاعترافات كسيرة ذاتية

على الردف وسرقة الوشاح، واللقاء

الأولى من حياته، كعمل يبرر فيه نفسه وكمشهد فلسفى. فالوقائع تقلُّ أهمية عن معانيها: "لقد تعهّدت سرد قصة روحي". روسو يبتكر "لغة جديدة" لينقل الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر. والعمل يعجّ بالحقبات الرائعة، المضحكة والطريفة أحيانا، المؤثَّرة والملهمة، والبنّاءة دائما. إنّه مشهد الضربة

والبائسة، وبدايات التمييز، إنه قصّة تأليف أعظم الأعمال. بالاسترحام، بإثارة الضحك أو الحث

شارمیت (Les Charmettes)،

إنَّه الفندقية وحياة اللهو ولكن

أيضا الصداقات المرجوة المحببة

لروسو باعترافات أغسطينوس – كلاهما يتوجهان إلى الله بشكل هذا العمل الضخم أنجز على أو بآخر ويحملان مفهوما للزمن مراحل فلا يستهان بالوجه الذي يشكّل أيضا تفكيرا فيما يربطنا أبرزه. حرية صاعقة. سواء أكان الأمر يتعلق بالاستعطاف أو بالوجود. ارتباط-انسلاج: معادلة هي نفحة الألم في الاعترافات.

مقال صحر في النشرة الاستثنائية المخصصة إلى جان جاك روسو (2012)، تمّ نشره في المجلة السويسرية L'Hebdo

جديد. إنَّها معركة في إيلوييز

الجديدة تعطى أمثولة عميقة:

"عالم العاشقين ليس أقل واقعية

من عالم السياسة" ليس أقل

واقعية ولا أقلّ مأساوية.